

مواقف من حياة التابعين

تأليف

أ.د. علي الخطيب

أستاذ ورئيس قسم الأدب والنقد

وعضو اتحاد كتاب مصر

وعضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية

والعميد الأسبق لكلية اللغة العربية

فرع جرجا - سوهاج



تصميم الغلاف
غادة نبيل

تنفيذ المتن والغلاف
بقطاع نظم وتكنولوجيا المعلومات
دار المعارف

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة - ج . م . ع .
هاتف : ٢٥٧٧٧٠٧٧ - فاكس : ٢٥٧٤٤٩٩٩ E-mail: maaref@idsc.net.eg

الإهداء

إلى كريمتنا «غيداء» وأحفادنا
«عبد الرحمن وشريف ومحمود»
حبا وأملا، إلى أولادى جميعا
وزوجتى ووالدى فى عالم الخلد



مقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين،
إمامنا، وزعيمنا وقدوتنا سيدنا محمد - صلوات الله وسلامه عليه -
وعلى آله وصحبه والتابعين له بإحسان إلى يوم الدين.
أما بعد..

إن هذا الكتاب يضم كوكبة من النجوم الزاهرة والكواكب اللامعة في
سماء الورع، والزهد، والتقوى ليتأسى الشباب بهم، ويتخذهم نبراسا
يضيء أمامهم الطريق في عصر يموج بالفتن، ويعجج بالأفكار المنحرفة
حتى أصبح القابض على دينه كالقابض على الجمر، فلا بد من التأسى
والاقتداء بهؤلاء الأكابر الذين باعوا الدنيا، واشتروا الآخرة.

حتى تحقق فيهم قول الحق: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ۗ﴾ (٣٠) ﴿١﴾ فهؤلاء قد أحسنوا العمل
خشية من الله - عز وجل - وطمعا في رحمته، وأصبحوا أسوة لغيرهم
من المسلمين في العمل الصالح، والسيرة العطرة، رحمهم الله جميعا.

المؤلف

أ. د / علي أحمد الخطيب

(١) سورة الكهف الآية ٣٠

زياد بن جرير الأسلمي

معظم الأمانة، ومنظم الديانة، الفقيه التقى، والعامل الوفي «زياد بن جرير الأسلمي» كان رحمه الله من التابعين الزهاد، الذين يخشون الله تعالى حق خشيته، ويتبعون أوامره، ويجتنبون نواهيه فعن ختاس بن سحيم قال: «أقبلت مع زياد بن جرير من الكناسة فقلت في كلامي: «لا» والأمانة فجعل زياد يبكي ويبكي حتى ظننت أني أتيت أمراً عظيماً، فقلت له أكان يكره ما قلت؟.. قال: «نعم»، كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ينهى عن الحلف بالأمانة أشد النهي^(١).

(أورده بن أبي الدنيا برقم ٦٣١ في كتاب «الصمت وحفظ اللسان» قال المحقق صحيح المعنى، «الكناسة» مكان بالكوفة).

وعن «ربيع بن عتاب» قال: «كنت أمشى مع زياد بن جرير فسمع رجلاً يحلف بالأمانة قال: فنظرت إليه وهو يبكي، فقلت له ما يبكيك؟ فقال: «زياد بن جرير»: أما سمعت هذا يحلف بالأمانة، فلئن تحك أحشائي حتى تدمي.. صحيح المعنى لحديث من حلف بالأمانة فليس منا رقم ٣٢٥٣ سنن أبي داود.

وفى هذا ما يدل على أن زياد بن جرير الأسلمي كان يعظم الأمانة، ويعرف لها حرمتها، وقدرها، كما أن ذلك دليل على أن التابعي الجليل

(١) الحلية ج ٤ ص ١٩٦.

قد وعى ما ورد فى الكتاب والسنة من تعظيم للأمانة، يقول الله تعالى ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ (٧٢).

وقول رسوله ﷺ لأبى ذر «جندب بن جنادة الغفارى» - رضى الله عنه - حيث طلب أبو ذر من رسول الله ﷺ أن يوليه منصباً حيث قال له: «يا رسول الله ألا فاستعملنى، أى اجعلنى عاملاً على إقليم من الأقاليم، فقال له النبى - عليه السلام - يا أبا ذر إنك ضعيف، وإنها أمانة، وإنها يوم القيامة خزى وندامة إلا من أخذها بحقها وأدى الذى عليه فيها». مسلم (١٨٢٥).

ويقول الرسول ﷺ: «لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد عنده» أورده المنذرى فى «الترغيب والترهيب» وقال رواه أحمد البزار والطبرنى.

من هذا المنظور الإسلامى كان «زياد بن جرير الأسلمى» يعظم حرمة الأمانة، ويعرف قدرها، لذلك كان يبكى حين يسمع أحداً يحلف بها، لأن الأمانة فى نظر الإسلام تنتظم جميع العبادات فروعها وأصولها. ونرى «عمر بن الخطاب» رضى الله عنه يسأل «زياد بن جرير» فيقول له يا «زياد» أفى هدم أنتم أم فى بناء؟.. فقال له «زياد»: لا، بل فى بناء يا أمير المؤمنين، فقال له «عمر» رضى الله عنه: «أما أن الزمان ينهدم بزلة عالم، وجدال منافق، أو أئمة مضلين»^(١).

(١) آية ٧٢ الأحزاب .

(٢) ذاته يتصرف.

.. أورده ابن الجوزى فى «مناقب عمر» عن «زيد بن جرير» بلفظ يهدم الإسلام «زلة عالم» و «جدال منافق بالقرآن» و «أئمة مزلون» .
 وعن «الشعبى» عن «زيد بن جرير» قال: «أتيت» عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال لى يا «زيد» هل تدرى ما الذى يهدم الإسلام؟ .. فقال له «زيد» ما الذى يهدم الإسلام يا أمير المؤمنين؟ .. فقال له أمير المؤمنين «عمر بن الخطاب»: «يهدم الإسلام زلة عالم، أو جدال منافق بالقرآن، وحكم المضلين، وكان رحمه الله يخشى الآخرة، ولقاء الله عز وجل، ويتجهز لذلك، ويحذر غيره فكان يقول للناس «تجهزتم»، فسمعه ذات يوم رجل وهو ينطق بهذه الكلمة فقال له: ما يعنى زيد بن جرير بقوله «تجهزتم»؟ .. فأجاب الرجل أنه يعنى بقوله تجهزتم «تجهزوا للقاء الله تعالى»^(١).

ومن شدة ورعه وتقواه، وخوفه من الله عز وجل كان يقول: «وددت أنى حبيس فى مكان لا أكلم فيه الناس ولا يكلمونى حتى ألقى الله عز وجل وكان يقول أيضاً موجهًا، ومرشدًا، ومعلمًا: «اقطع طريقك بذكر الله» أورد هذا الكلام ابن الجوزى عن زيد بن حدير الأسدى ج٢ ص٢٢ «صفة الصفوة»، وعن «حفص بن حميد» قال: «قال لى زيد بن جرير الأسلمى»: «اقرأ على فقرأت عليه قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَرَسُوا خُبْرًا﴾»^(٢) **وَوَضَعْنَا عَنكَ وَرَدَكَ** الشرح: (١ - ٢) فقال: «يا ابن أم زيد» انقض ظهر رسول الله ﷺ؟ .. فأخذ يبكى كما يبكى الصبى^(٣).

(١) ذاته ص ١٩٧ بتصرف.

(٢) ذاته بتصرف.

وكان له موقف مع أمير المؤمنين «عمر بن الخطاب» -رضى الله عنه- وهو أنه قدم عليه ، وعليه «طيلسان» وله شارب عافٍ أى «غير مخلوق» ، فسلمت عليه فرفع رأسه فنظر إلى ولم يرد السلام ، فانصرفت عنه ، فأتيته ابنه «عاصمًا» فقلت له : لقد رميت من أمير المؤمنين فى الرأس ، فقال له : «عاصم بن عمر بن الخطاب» : سأكفيك ذلك ، فلقى «عاصم» أباه فقال له : يا أمير المؤمنين أخوك زياد بن جرير الأسلمى يسلم عليك فلم ترد عليه السلام ، فقال له : «عمر بن الخطاب -رضى الله عنه- إنى رأيت عليه «طيلسانًا» أى «كساء من حرير» ، ورأيت شارب عافياً ، أى «غير مخلوق» -يقول زياد- فرجع «عاصم» إلى فأخبرنى بذلك ، فانطلقت فقصت شاربى ، وكان معى «برد» فشققته ، وجعلته «إزارًا ورداء» ثم أقبلت إلى «عمر» فسلمت عليه فقال : «وعليك السلام»^(١).

ويروى لنا زياد بن جرير الأسلمى ، فيقول : استعملنى «عمر» على الماص والماص بالتريك «بيض الإبل وكرامها» فكننت : «أعشر بنى تغلب كلما أقبلا وأدبروا ، فخرج إليه رجل منهم فقال يا أمير المؤمنين إن عاملك «زياد بن جرير» «يعشرنا» كلما أقبلنا وأدبرنا ، فقال له : «عمر» سأكفيك ذلك ، فكتب «عمر بن الخطاب» - إلى «زياد» أن عشرهم^(٢) فى السنة مرة واحدة ، يعنى يريد أن يقول الإمام «عمر بن الخطاب» -رضى الله عنه- لزياد أن لا تفرض عليهم «العُشر» إلا مرة واحدة فى السنة ، وذلك تخفيفًا وحتى لا يثقل كاهلهم بما لا يقدرون عليه ، وليست لهم به طاقة .

(١) ذاته بتصرف ص ١٩٨ .

(٢) السبرد : ثوب فى خفوط ، والجمع «أبراد» وأبرد وبرود «لسان العرب» لابن منظور مادة «برد» المجلد الأول طبع دار المعارف بالقاهرة.

وكان رحمه الله قليل المسانيد، فقد أسند عن «علي، عبد الله ابن مسعود رضى الله عنهما» فعن زياد بن جرير قال: قال «علي» رضى الله عنه لئن بقيت لنصارى بنى تغلب لأقتلن القاتلة، ولأسبين الذرية، فإنسى كتبت الكتاب بين النبي - عليه السلام - وبينهم على أنهم لا ينصرون أبناءهم».

وهكذا رأينا التابعى الجليل «زياد بن جرير الأسلمى» رحمه الله مثالا وقدوة حسنة لشبابنا المسلم فى الزهد، والورع، والتقوى، والعمل للدار الآخرة حيث النعيم المقيم.

يا مَنْ تمتع الدنيا وزينتها ولا تنام من اللذات عيناه
أفانيت عمرك فيما لست تدركه تقول لله ماذا حين تلقاه
ندعو الله أن يرزقنا العمل الصالح والإخلاص فيه.



شقيق بن سلمة الأسدي

الواله، الذابل، والمجتهد الناحل، والإمام الكبير شيخ الكوفة، «شقيق بن سلمة الأسدي»، ويكنى «أبو وائل» و«أسد خزيمة» حدثنا أبو بكر بن عياش عن عاصم قال: «كان أبو وائل إذا صلى في بيته ينشج نشيجاً - يعني يرتفع صوته بالبكاء - ، وكان ذلك البكاء خوفاً من الله، وطمعا في رحمته، ولو جعلت له الدنيا على أن يفعله وأحد يراه ما فعله، وإذا ذكر الله عنده ينتفض انتفاض الطير.

أورده ابن الجوزي في «صفة الصفوة» ج ٢ ص ١٧.

ويحدثنا «معروف ابن واصل» فيقول: كنا عند أبي وائل «شقيق بن سلمة» فذكروا قرب الله من خلقه، فقال نعم!.. يقول الله تعالى: «يا ابن آدم ادن مني شبراً ادن منك ذراعاً، ادن مني ذراعاً ادن منك باعاً، امش إلى أهول إليك» يعني أسرع إليك.

حديث صحيح أخرجه البخاري ومسلم وأحمد واللفظ لأحمد.

ويروى عنه أنه قال: «خرجنا في ليلة مخوفة فمررنا بأجمة^(١) فيها رجل نائم، وقد قيّد لفرسه وهي ترعى عند رأسه فأيقظناه فقلنا له: «تنام في مثل هذا المكان، فرفع رأسه إنى لأستحيى من ذى العرش أن يعلم أنى أخاف شيئاً دونه، ثم وضع رأسه فنام، وكان يمسك من

(١) الأجمة: الشجر الكثيف المنتف، والجمع «أجمٌ وأجام، وإجام» لسان العرب» لابن منظور ج١

مادة «أجم» ص ٣٤ ط دار المعارف.

المال ما يكفي أهله سنة ثم يتصدق بما تبقى له من مال^(١)، وكان رحمه الله زاهدًا، خاشعًا وما يُرى ملتفتًا في صلاة ولا في غيرها، ولا يسب أحدًا إلا إنه ذكر «الحجاج» يومًا فقال: اللهم أطعم الحجاج من ضريع لا يسمن ولا يغنى من جوع، ثم تداركها، فقال: إن كان ذاك أحب إليك، فقلت: وتستننى في الحجاج؟.. فقال: «نعدّها ذنبًا» وقد سبّ الحجاج أحد جلسائه فقال له: «لا تسبه وما يدريك لعله قال: اللهم اغفر لي فغفر له»^(٢)؟! .

وكان «عبد الله بن مسعود» رضى الله عنه - إذا رأى «الربيع بن خيثم» قال: «وبشر المخبتين» وإذا رأى «شقيق بن سلمة» قال: «التائب» وكان يقول وهو ساجد: «رب اغفر لي، رب اعف عني، إن تعف عني تطولا من فضلك، وإن تعذبنى تعذبنى غير ظالم لي ولا مسبوق، قال ثم يبكى حتى أسمع نحيبه من وراء المسجد» ودخل على «عبد الله بن زياد» فى البصرة، فإذا بين يديه تل من ورق، والآلاف من النقود من خراج «أصبهان» فقال «عبد الله بن زياد» لـ «شقيق»: «يا أبا وائل ما ظنك برجل يموت ويدع مثل هذا، فقلت له: فكيف إذا كان من غلول؟.. فذاك شر على شر ثم قال له: يا أبا وائل إذا أتيت الكوفة فأنتى لعلى أصيبك بمعروف قال فلما رجعت قلت لو إنى شاورت علقمة فى ذلك ثم أتيت «علقمة» فأخذت رأيه، فقلت له: إنى دخلت على ابن زياد فقال لى كيت وكيت فكيف ترى؟.. قال لى «علقمة»: لو إنك أتيته

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء - لأبى نعيم الأصفهاني - دار البيان العربية جـ ٤ ص ١٠١.

(٢) ذاته ص ١٠٢ وطبقات ابن سعد جـ ٦ ص ١٢٥.

قبل أن تستأمرنى لم أقل لك شيئاً، فأما إذا استأمرتنى فإنى حقيق أن أنصحك، والله ما يسرنى أن لى ألفين مع ألفين فإنى أكره الناس عليه فقلت له لما يا أبا شبل؟.. قال: إنى أخاف أن ينقصوا منى أكثر مما أنتقص منه^(١).

وأخبر «شقيق بن سلمة» بأن ابنه استعمل على السوق - يعنى صار أميراً يحصل خراج السوق - ، وهى وظيفة من الوظائف المهمة فى المجتمع الإسلامى يومذاك، فقال له شقيق: والله لو جئتنى بخبر موته لكان أحبب إلى، إنى لأكره أن يدخل بيتى مال من هذا العمل، وكان يقول لجاريته يا بركة: إذا جاء يحيى يعنى ابنه بشىء فلا تقبله وإذا جاءك أصحابى بشىء فخذيه^(٢)، وكان ابنه يحيى قاضياً على الكناسة^(٣) وهذا هو التحرى عن الحلال، والبعد عن الشبهات، ولا يتأتى ذلك إلا ممن زهد الدنيا، واتجه بكليته إلى الآخرة، لأنه يعلم لأن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيباً، وكل لحم نبت من سحت، ومن حرام فالنار أولى به، وقد قال رسول الله ﷺ لسعد حين طلب من رسول الله - عليه السلام - أن يكون مستجاب الدعوة، فقال له عليه السلام: «يا سعد أظب طعمتك تستجب دعوتك».

أورده المنذرى فى الترغيب بلفظ يا سعد أظب مطعمك تكن مستجاب الدعوة وعزاه للطبرانى فى الصغير وعنون له بلفظ روى وهو محتمل الضعف.

(١) ذاته ص ١٠٣.

(٢) ذاته ص ١٠٣.

(٣) الكناسة اسم موضع بالكوفة.

أرأيت الزهد، والورع، والتقوى وتحرى الحلال والخوف من الله
 فما بالكم بالذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً، ولا يتحرون الحلال
 وبيوتهم مملوءة بالمال الحرام، إنهم لا يخافون الآخرة.
 وكان لهذا الزاهد الورع، حُصٌّ من قصبٍ يقيم فيه هو وفرسه فإذا
 غزا نقضه وتصدق به فإذا رجع اتخذ حُصاً غيره^(١).
 وكان يقول رحمه الله لئن يكون لى ولد يقاتل فى سبيل الله أحبُّ
 إلى من مائة ألف.

وفى هذا دعوة للجهاد، لإعزاز كلمة الله، وردع الأعداء حتى
 لا يفكروا فى الاعتداء علينا، واجتياح أراضينا، ونهب خيرات بلادنا،
 ولا سبيل إلى استرداد مجدنا، وعزتنا، وصون كرامتنا إلا بفتح باب
 الجهاد فى سبيل الله وخاصة فى هذا العصر الأنگد، الذى تداعت
 فيه الأمم علينا كما تتداعى الأكلة على قصعتها، ومن أقواله: «نعم
 الربُّ ربنا لو أطعناه ما عصانا» ومن أقواله أيضاً: «إن أحسن ما زُينَ
 به المصحف تلاوته بالحق^(٢)» وعن إبراهيم قال: «ما من قرية إلا وفيها
 مَنْ يدفع عن أهلها به» وإنى لأرجو أن يكون أبو وائل فهم وكان يقول
 «إن أهل بيت يضعون على مائدتهم رغيماً حلالاً لأهل بيت غرباء».

وكان رحمه الله يدخل المسجد يصلى، ثم ينشج كما تنشج المرأة
 يعنى يعلو صوته بالبكاء، وسمع «شقيق بن سلمة» عن عمر وعثمان
 وعلى، وعبد الله بن مسعود، وعمارة، وخباب وأبى موسى، وأسامة

(١) صفة الصفة جـ ٢ ص ١٧ دار الحديث - القاهرة.

(٢) ذاته ص ١٠٥.

ابن زيد، وحذيفة، وعبد الله بن عمر، وسلمان، وأبى الدرداء، والبراء، وغيرهم كثير^(١).

ويروى عن أقرانه كمسروق وعلقمة، وحمران بن أيامه كما حدث عنه «عمرو بن مرة، وواصل الأحور، وأبو حصين، وعطاء بن السائد، والأعمش والعلاء بن خالد، وغيرهم».

ومن جملة الأحاديث التي رواها «شقيق» عن الأعمش عن أبى وائل عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «لشبر من الجنة خير من الدنيا وما فيها». روى مثله ابن ماجه فى سننه بسند آخر ورواه الدارمى بلفظ لموضع سوط أحدكم..» ، وعن شقيق عن عبد الله قال: قال رسول الله عليه السلام: «ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله»، قال: «أجورهم» يدخلهم الجنة، ويزيدهم من فضله الشفاعة لمن وجبت له النار ممن صنع إليهم المعروف فى الدنيا^(٢).

وعن شقيق عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «ما بال أقوام يشرفون المترفين، ويستخفون بالعابدين، ويعملون بالقرآن ما وافق أهواءهم، وما خالف أهواءهم تركوه، فعند ذلك يؤمنون ببعض، ويكفرون ببعض، يسعون فيما يدرك بغير السعى من القدر المقدر، والأجل المكتوب، والرزق المقسوم، ولا يسعون فيما لا يدرك إلا بالسعى من الجزاء الموفور، والسعى المشكور، والتجارة التى لاتبور»^(٣).

(١) صفة الصفة جـ ٢ ص ١٨.

(٢) الحلية جـ ٢ ص ١٠٨.

(٣) ذاته ص ١٠٩ وما بعدها.

وعن أبي وائل «شقيق بن سلمة» عن حذيفة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إياكم والزنا، فإن فيه ست خصال، ثلاثا فى الدنيا، وثلاثا فى الآخرة، فأما اللواتى فى الدنيا فإنه يذهب بالبهاء، ويورث الفقر، وينقص الرزق، وأما اللواتى فى الآخرة فإنه يورث سخط الرب، وسوء الحساب والخلود فى النار^(١).

وعنه أيضاً قال: قال رسول الله - عليه السلام «المرء مع من أحب» وتوفى زمن «الحجاج» بعد معركة الجماجم - ويقول خليفة فى طبقاته «مات بعد الجماجم سنة اثنتين وثمانين للهجرة النبوية»^(٢).

ويقول سعد بن صالح «كان يوم جنازتنا وهو ابن مائة وخمسين سنة، أما الفضل ابن دكين فيؤيد ما ذكرناه آنفاً من أنه توفى زمن الحجاج بعد معركة الجماجم.

رحم الله الزاهد الورع «شقيق بن سلمة» وجمعنا وإياه فى مستقر رحمته.



(١) ذاته ص ١١١.

(٢) طبقات خليفة ج ١ ص ٣٢٣ وتذكرة الحفاظ ط ص ٦٠ والكاشف ج ٢ ص ١٣، وسير أعلام

النبلاء - للذهبي ج ٥ ص ١٧٨.

عروة بن الزبير

هو التابعى الجليل، والزاهد الورع، عالم المدينة، الإمام الفقيه عروة بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي ابن كلاب ويكنى «أبو عبد الله» وهو قريشى أسدى وكان - رحمه الله - أحد الفقهاء السبعة وهم «عروة، وسعيد بن المسيب، والقاسم، وأبو بكر بن عبد الرحمن، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة وخارجه بن زيد بن ثابت، وسليمان بن يسار» رحمهم الله جميعاً.

ويقول خليفة بن خياط: ولد «عروة بن الزبير» سنة ثلاث وعشرين وقيل مولده بعد ذلك، وفي تذكرة الحفاظ عند خليفة أيضاً - ولد في آخر خلافة «عمر» رضى الله عنه^(١) وأمه «أسماء بنت أبي بكر» رضى الله عنهما ويقول «مصعب بن عبد الله»: ولد «عروة بن الزبير» لست سنين خلت^(٢) من خلافة «عثمان» وقيل ولد سنة تسع وعشرين، ويشهد لهذا ما رواه «هشام بن عروة» - عن أبيه قال: أذكر إن أبى الزبير «يُنقَدْنِي» يعنى يوثبني - ويقول:

مبارك من ولد الصديق أبيض من آل عتيق
ألدّه كما الذريقى^(٣)

(١) تاريخ خليفة بن خياط ص ١٥٦، تذكرة الحفاظ ج ١ ص ٦٣.

(٢) خلت: مضت.

(٣) سير أعلام النبلاء - الذهبى ج ٥ ص ٣٣٧.

ويروى لنا «عروة» عن نفسه فيقول: «وقفت وأنا غلام أنظر إلى الذين قد حاصروا «عثمان» رضى الله عنه - وقد مشى أحدهم على الخشبة ليدخل إلى عثمان فلقبه عليها أخي «عبد الله بن الزبير» فضربه ضربة طاح قتيلا على البلاط، فقلت لصبيان معي: قتله أخي فوثب على الذين حاصروا «عثمان» فكشفوني فوجدوني لم أنبت أى لم تنبت عانته يعنى كان غلاماً صغيراً لم ينضج بعد فتركوني^(١) ويقول عنه «عمر بن عبد العزيز» رحمه الله: «لم أجد أعلم من عروة بن الزبير، وما أعلمه يعلم شيئاً يجهله».

عن الزهرى أنه قال: رأيت «عروة» بحرّاً لا تكدره الدلاء، وفي تذكرة الحفاظ عن الزهرى أنه قال: «رأيت بحرّاً لا ينزف^(٢)».

ويقول عبد الرحمن بن حميد: «دخلت مع أبى المسجد فرأيت الناس قد اجتمعوا على رجل فقال أبى: «انظر من هذا؟! فنظرت فإذا هو «عروة» فأخبرته وتعجبت، فقال يا بنى: لا تعجب، لقد رأيت أصحاب رسول الله ﷺ يسألونه، وكان «عروة» يتحلق الناس على حديثه^(٣).

وكان - رحمه الله - راوية الشعر، حتى إنه قيل له: ما أرواك للشعر: «ما روايتى ما فى رواية عائشة، ما كان ينزل بها شىء إلا أنشدت فيه شعرا، وكان - رحمه الله - يقرأ كل يوم ربع القرآن ويقوم به الليل، فماتك هذا العمل إلا ليلة قطعت رجله.

(١) ذاته ص ٣٥٧.

(٢) سير أعلام النبلاء - ج ٥ ص ٣٥٩ وتذكرة الحفاظ ج ١ ص ٦٢ وتهذيب الأسماء واللغات ج ١

ص ٣٠٥.

(٣) تذكرة الحفاظ ص ٦٢١ وحلية الأولياء ج ٢ ص ١٧٦.

وكان - رحمه الله - جواداً كريماً، فكان إذا نضج ثمر بستانه يأذن للناس في دخوله والأكل من ثماره، ويحملون معهم من الرطب ما يشتهون، ولما اتخذ «عروة» قصره بالعقبة وهي ناحية من نواحي المدينة فيها عيون ونخل، قال له الناس: «جنوت مسجد رسول الله ﷺ فقال: «عروة» رأيت مساجدهم لاهية، وأسواقهم لاغية. والفاحشة في فجاجهم عالية، فكان فيما هنالك عمّاهم فيه عافية^(١) وعن «عروة بن الزبير» أن رسول الله ﷺ قال: «يكون في أمتي خسف وقذف وذلك عن ظهور عمل قوم لوط فيهم قال «عروة» فبلغني إنه قد ظهر ذلك فتنحيت عن المدينة، وخشيت أن يقع وأنا بها، فنزلت بالعقبة.

وفي رواية أخرى زاد فيها على ما ذكرناه آنفاً: «وبلغني أنه لا يصيب إلا أهل القصة، وبئر «عروة» مشهور بالعقبة وهو طيب الماء، وكان يخرج من مكة وغيرها إذا مرَّ بالعقبة تزود من ماء بئر «عروة» وكانوا يهدونه إلى أهاليهم ويشربونه في منازلهم - ويقول «الزبير بن بكار»: «ورأيت أبى يأمر به فيغلى ثم يجعله في القوارير ويهديه إلى الرشيد». ^(٢) وهو بالرقعة كان له موقف مع الخليفة «عبد الملك بن مروان» حيث قدم «عروة بن الزبير» على «عبد الملك بن مروان» فأجلسه معه على السرير، فجاء قوم فوقعوا في «عبد الله بن الزبير» يعنى شتموه، ونالوا منه وقدحوا في شخصيته، فخرج «عروة» وقال لهم: «إن عبد الله» أخى فإذا أردتم أن تقعوا فيه فلا تأذنوا لي عليكم، فذكروا ذلك للخليفة «عبد الملك بن مروان»

(١) سير أعلام النبلاء - ج ٥ ص ٣٦٠.

(٢) معجم البلدان - لياقوت الحموى ج ١ ص ٣٠٠ وما بعدها.

فقال «عبد الملك» حدثوني بما قلت ، وإن أخاك لم نقتله لعدواة ، ولكنه طلب أمراً وطلبناه فقتلناه - فهو يريد أن يقول إنه خلاف سياسى ، ونزاع رياسى وطمع دنيوى - وإن أهل الشام فى أخلاقهم أن لا يقتلوا رجلاً إلا شتموه فإذا أذنا لأحد قبلك فقد جاء من يشتمه فانصرف عروءة.. وقد قطعت رجل «عروءة» رحمه الله فما تصوّر وجهه ولا صاح ولا تلوى ، وأبى أن يشرب دواءً ينسيه ألم قطع رجله حتى إن الوليد قال فيه : «ما رأيت شيخاً قط أصبر من هذا».

وتوفى له ابن كانت قد أصابته بغلة فى إسطبل فلما كان بوادى القرى قال: ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾ (٦٣) ﴿اللهم كان لى بنون سبعة فأخذت واحداً وأبقيت لى ستة ، وكان لى أطراف أربعة فأخذت طرفاً وأبقيت لى ثلاثة فإن ابتليت فقد عاقبت ، ولئن أخذت فقد أبقيت (٦٤). ونظر إلى رجله المقطوعة ثم قال : «إن الله يعلم إنى ما مشيت بك إلى معصية قط وأنا أعلم» واجتمع فى الحجر مصعب ، وعبد الله ، وعروءة ، وعبد الله بن عمر ، فقالوا تمنّوا فتمنى «عبد الله» الخلافة ، وتمنى «عروءة» أن يؤخذ عنه العلم ، وتمنى «مصعب» إمرة العراق ، والجمع بين عائشة بنت طلحة وسكينة بنت الحسين ، وتمنى «عبد الله بن عمر» المغفرة فنال جميعهم ما تمنى ، ولعل ابن عمر قد عُفِرَ له (٦٥).

(١) سورة الكهف آية رقم (٦٣).

(٢) حلية الأولياء ج ٢ ص ١٧٩.

(٣) طبقات ابن سعد ج ٥ ص ١٣٧.

وأقام «عروة بن الزبير» بمكة تسع سنين، ولما قتل أخوه «عبد الله بن الزبير» خرج «عروة» إلى المدينة بالأموال فاستودعها، وسار إلى «عبد الملك ابن مروان» وأذن له بالدخول عليه، فلما رآه «عبد الملك» أفسح له المكان وجعل يسأل: «كيف أبو بكر؟».. يعنى «عبد الله بن الزبير» فقال له: «قُتِلَ رحمه الله فنزل» عبد الملك عن السرير فسجد، فكتب إليه «الحجاج» إن «عروة» قد خرج والأموال عنده، فقال له «عبد الملك» فى ذلك: ما تدعون الرجل حتى يأخذ سيفه فيموت كريماً، وكتب إلى الحجاج أن أعرض عن ذلك.

ويقول «ابن خلكان»: هو الذى حفر بئر «عروة» بالمدينة، وما بالمدينة أعذب من مائها^(١)، ويقول عنه «العجلي»: «عروة بن الزبير» «تابعى ثقة، رجل صالح، لم يدخل فى شيء من الفتن ويقول عنه «ابن خراش»: «تابعى ثقة».

وكانت الحكمة تجرى على لسانه، عذبة حلوة ومنها «رُبَّ كلمة ذل احتملتها أورثتني عزاً طويلاً»، ويقول: أيضاً رحمه الله «إذا رأيت الرجل يعمل الحسنة فاعلم أن لها عنده أخواته، فإذا رأيتَه يعمل السيئة فاعلم أن له عندها أخوات، فإن الحسنة تدل على أخواتها، وإن السيئة تدل على أخواتها.

ويقول أيضاً: «الناس بأزمنتهم أشبه منهم بآبائهم وأمهاتهم^(٢) وكان يقول - رحمه الله - إنى لأعشق الشرق، كما أعشق الجمال ويقول لتكن

(١) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان - لابن خلكان جـ ٣ ص ٢٥٧.

(٢) الحلبة جـ ٢ ص ١٧٧.

كلمتك طيبة، وجهك بسطى تكن أحب إلى الناس ممن يعطيهم العطاء، ولم يترك ورده - رحمه الله - ليلة واحدة إلا فى الليلة التى قطعت فيها رجله، وتمثل الأبيات من شعر معن بن أوس:

لعمرك ما أهويت كفى لريبة ولا حملتني نحو فاحشة رجلى
ولا قادنى سمعى ولا بصرى لها ولا دلنى رأى عليها ولا عقلى
وأعلم أن لم تصبنى مصيبة من الدهر إلا قد أصابت فتى قبلى^(١)

ويقول - رحمه الله - إذا رأى أحدكم شيئاً من زينة الدينا وزهرتها فليات أهله، وليأمرهم بالصلاة وليصطبر عليها - قال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ (طه: ١٣١)، وكان له بستان - رحمه الله - يقصده أهل البادية فيأكلون ويحملون معهم، وكلما دخل عروة يذكر قول الحق سبحانه وتعالى: ﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ (الكهف: ٣٩)، ويظل يردد هذه الآية حتى يخرج من البستان وهذا غاية الورع، وشكر النعمة، والبعد عن الغرور والاعتزاز بالمال.

وتوفى - رحمه الله - وهو ابن سبع وستين سنة وقيل سنة ثلاث وتسعين وقيل سنة أربعة وتسعين وقيل غير ذلك.

ويذكر لنا صاحب العبر أن عروة بن الزبير - رحمه الله - توفى سنة أربع وتسعين ويقول: «وفيهما أى فى سنة أربع وتسعين توفى أبو عبد الله عروة بن الزبير بن العوام الأسدى المدنى، الفقيه الحافظ، ولد فى سنة تسع وعشرين للهجرة النبوية، وحفظ عن والده، وكان يصوم الدهر،

(١) الحلية ج٢ ص ١٧٨.

ومات وهو صائم وكان يقرأ كل يوم ربع الختمة في المصحف، ويقوم الليل فما تركه إلا ليلة قطعت رجله، وكانت وقع فيها الأكلة فنشرها^(١). ولحق عروة بالرفيق الأعلى بعد حياة حافلة بالورع، والزهد والتقوى، والنأى عن الحرام، والشبهات فكان - رحمه الله - صوامًا، قوامًا، لا تكتحل عينه بنعاس خشية من الله عز وجل فهو من الذين قال الحق فيهم ﴿ تَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ (السجدة: ١٦)، فهل يقتدى شبابنا المسلم بهذا الشاب المسلم عروة بن الزبير ليسعد في دنياه ويربح في أخراه؟! ..



(١) العبير قسى خير من غيره - للذهبي ج١ ص ٨٢ والسير ج٥ ص ٣٦٦ والزهد - لأحمد ص ٣٧١ وتاريخ البخارى ج٧ ص ١٣١ والمقارن - لابن قايبة ص ٢٨٣ المعرفة والتاريخ ج٥ ص ٣٦٤.

مصعب بن الزبير

هو التابعى الجليل، أمير العراقيين «مصعب بن الزبير بن العوام القرشى الأسدى» ويكنى «أبوعيسى»، وأبو عبد الله «كان فارساً شجاعاً، جميلاً، وسيماً، حارب المختار وقتله.

ويقول «ابن سعد» فى طبقاته هو: «مصعب بن الزبير بن العوام بن خويلد، وأمه «الرياب بنت أنيف بن عبيد بن مصاد بن كعب بن سليم بن جناب»، من كلب فولد «مصعب بن الزبير» عكاشة وعيسى الأكبر قتل مع أبيه مصعب وسكينة وأمهم «فاطمة بنت عبد الله بن السائب بن أبى حبيش بن المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصى، وعبد الله بن مصعب، ومحمداً وأمهما «عائشة بنت طلحة بن عبيد الله» وأمها «أم كلثوم بنت أبى بكر الصديق وحمزة، وعاصماً، وعمر لأم ولد، وجعفرًا لأم ولد، ومصعب بن مصعب وهو «خضير» لأم ولد، وسعدًا لأم ولد، والمنذر لأم ولد، وعيسى الأصغر لأم ولد، والرياب بنت مصعب وأمها سكينة بنت الحسن بن على بن أبى طالب.

ويروى أن «مصعب بن الزبير» كان يكنى «أبا عبد الله» ولم يكن له ابن يسمى «عبد الله» وولى عبد الله بن الزبير أخاه «مصعب بن الزبير» العراق فبدأ بالبصرة فنزلها ثم خرج فى جيش عرمرم كثير إلى المختار بن أبى عبيد وهو بالكوفة فقاتله حتى قتله، وبعث برأسه إلى أخيه عبد الله بن الزبير.

ومن سخائه وجوده كان يسمى «آنية النحل»^(١) وفيه يقول الشاعر
عبد الله بن قيس الرقيات :

إنما مصعب شهاب من الله تجلت عن وجهه الظلماء
ملكه ملك عزة ليس فيها جبروت منه ولا كبرياء
يتقى الله في الأمور وقد أفلح ح من كان همه الاتقاء^(٢)

وكان - رحمه الله - وسيماً جميلاً، حتى إن إسماعيل بن أبي خالد
يقول: «ما رأيت أميراً قط على منبر أحسن من «مصعب».

ويقول: «صاحب الطبقات»: «ما رأيت أميراً قط أجمل من «مصعب
ابن الزبير» على المنبر»^(٣).

وكان - رحمه الله - يُحسد على الجمال، ويروى أنه اجتمع في
الحجر عبد الله ومصعب، وعروة بنو الزبير - وابن عمر فقال: «تمنوا،
فقال ابن الزبير أتمنى الخلافة، وقال «عروة» أتمنى أن يؤخذ عنى
العلم، وأما «مصعب» فقال: «أتمنى إمرة العراق»، والجمع بين «عائشة
بنت طلحة، وسكينة بنت الحسين» فقال «ابن عمر»: «أما أنا فأتمنى
المغفرة»، فنالوا جميعاً ما تمنوا، ولعل «ابن عمر» قد عُفِرَ له^(٤)، وكان
عبد الملك ودوداً لمصعب صديقاً له.

ويروى عن ابن جُدعان قوله: «بلغ مصعب شىء عن عريف
الأنصار، فهمّ به فاتاه أنس فقال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول:

(١) سير أعلام النبلاء - الذهبي ج ٥ ص ١٦٠.

(٢) ديوان قيس الرقيات ص ٩١ والشعر والشعراء - لابن قتيبة الدينوري ص ٤٥٠.

(٣) الطبقات الكبرى - لابن سعد ج ٥ ص ١٣٦.

(٤) حلية الأولياء - لأبي نعيم ج ٢ ص ١٧٦ ت/١٧١.

«استوصوا بالأنصار خيرًا، اقبلوا من محسنهم، وتجاوزوا عن مسيئهم»
فألقي «مصعب» نفسه عن السرير، وألّزق خده بالبساط وقال: «أمر
رسول الله ﷺ على العين والرأس وتركه»^(١).

ويقول «مصعب بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن
الزبير ابن العوام» وهو من الطبقة العاشرة: «أهديت لمصعب تحلة
من الذهب، عتاكلها من صنوف الجواهر، قومت بألفي ألفي دينار،
وكانت للفرس، فدفعها إلى «عبد الله بن أبي فروة»، ولم يقبلها وهذا
هو الزهد بعينه، والورع والتقوى وخشية الله - عز وجل - حيث
إن هؤلاء الصغوة باعوا دنياهم، واشتروا بها آخرتهم ففازوا بسعادة
الدارين، وريح البيع كما أن هؤلاء الصغوة كانوا مثالا يحتذى، وأسوة
حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر، وحق لهم ذلك فمتاع الدنيا
قليل والآخرة خير لمن اتقى.

وكان «ابن الزبير» إذا كتب لأحد بجائزة ألف درهم جعلها «مصعب مائة
ألف» وسئل «سالم» أي ابني الزبير أشجع؟.. فقال كلاهما جاء الموت وهو
ينظر إليه، وقد تذاكروا الشجعان يومًا فقال «عبد الملك» أشجع العرب من
ولى العراقيين خمس سنين، فأصاب ثلاثة آلاف ألف، وتزوج بنت الحسين،
وبنت طلحة، وبنت عبد الله بن عامر وأمه رباب بنت أنيف الكلبى سيد
ضاحية العرب، وأعطى الأمان فأبى ومشى بسيفه حتى قتل^(٢).

(١) أخرجه أحمد وفي المسند ج٤ حديث رقم ١٣٥٢٩ ط دار الفكر العربى.

(٢) تاريخ بغداد ج١٣ ص ١٠٦ وتاريخ الإسلام الطبعة الثامنة ص ٥٢٤ ترجمة مصعب ص ٥٢٦.

ويقول «عبد الملك بن عمير» : «رأيت بقصر الكوفة رأس الحسين الشهيد، ثم رأس ابن زياد، ثم رأس المختار، ثم رأس مصعب بين يدي «عبد الملك».

وكان «مصعب» قد سار ليأخذ الشام فقصده «عبد الملك بن مروان» فوقع بينهما ملحمة كبرى «بدير الجاثليق بقرب أوانا» وهى بلدة كثيرة البساتين والشجر بينها وبين «بغداد» عشرة فراسخ من جهة تكريت، وكثيراً ما يذكرها الشعراء الخلفاء فى أشعارهم^(١).

وكان قد كاتب «عبد الملك» جماعة من الوجوه يمنيهم ويعددهم إمرة العراق وإمرة العجم، فأجابه إلاً «إبراهيم بن الأستر» فأتى مصعب بكتاب وفيه «إن بايعتني وليتك العراق»، وقال: قد كتب إلى أصحابك فأطعنى واضرب أعناقهم، فقال له: إذا تغضب عشائركم، قال فاسجنهم، قال فإننى لفى شغل عن ذلك يرحم الله الأحنف بن قيس، إن كان ليحذر غدر العراقيين، وقيل قال لهم «قيس بن الهيثم» ويحكم لا تدخلوا أهل الشام عليكم منازلكم، وأشار ابن الأستر بقتل «زياد بن عمرو» و«مالك بن يسمع»، فلما التقى الجمعان، لحقوا بعبد الملك وهرب «عتاب بن رقاء» وخذلوا «مصعب»، وفى ذلك يقول «عبد الله بن قيس الرقيات:

أن الرزية يوم مسكين والمصيبة والفجيرة
بابن الحواري الذي لم يعدده يوم الواقعة
غدرت به مضر العراق وأمكننت مناربيعة
فأصبت وترك ياربيعة وكننت سامعة مطيعة

(١) معجم البلدان - لياقوت الحموى ج١ ص ٢٧٤.

يالهدف لوكانت له بالدير يوم الدير شيعة
أولم يخونوا عهده أهل العراق بنو الكليعة
لوجدتموه حين يحدر لا يعرس بالمضيقة

وجعل مصعب كلما قال لمقدم من جيشه: تقدم لا يطيعه.

وأخبر عبد الله بن حازم السلمى «أمير خراسان» بمسير «مصعب»
إلى عبد الملك فقال: «أمعه عمر بن عبيد الله التيمي؟».. قيل: «لا» ذاك
استعمله على فارس فقال: «أفمعه المهلب بن أبي صفرة؟».. قيل: «لا»
«ولاه» الموصل قال: «أمعه عباد بن الحصين؟».. قيل: استعمله على
«البصرة» فقال: وأنا هنا، ثم تمثل بقول القائل:

خذيني وجرينى ضياع وأبشرى بلحم امرىء لم يشهد اليوم ناصره
ورواية البيت هكذا:

فقلت لها عيشى جعار وجرى بلحم امرىء لم يشه اليوم ناصره
والبيت للنابغة الجعدى فى ديوانه ص ٢٢٠ والكتاب لسيبويه
ج ٣ ص ٢٧٣ وبلا نسبة فى لسان العرب مادة «جرر، وجعر»
والمقتضب ج ٣ ص ٣٧٥ وما ينصرف وما لا ينصرف.

ويقول الطبرى فى تاريخه: فقال: «مصعب» لابنه عيسى: «اركب
بمن معك إلى عمك أمير المؤمنين، فاخبره بما صنع أهل العراق، ودعنى
فإنى مقتول قال: «لا أخبر قريشاً عنك أبداً، ولكن سر إلى «البصرة»
فهم على الطاعة، قال: «لا تتحدث قريش إننى فررت لخذلان «ربيعة»
وما السيف بعار - وبعث إليه «عبد الملك» مع أخيه «محمد» يقول:
يا ابن العم - أمنتك فقال: «مثلنى لا ينصرف عن هذا المقام إلا غالباً»

أومغلوباً»، فقيل : «أثخنوه بالسهم ثم طعنه» زائدة الثقفى «وكان من جنده، ثم قال: «يا لثارات المختار» وقاتل قتلة ابن الأشتر حتى قتل، واستولى «عبد الملك» على المشرق^(١).

وفى السير والطبقات أن «مصعب» قتل يوم نصف جمادى الأولى سنة اثنتين وسبعين وفى العبر فى خبر من غير/ الذهبى: وقاتل مع «مصعب» ولداه «عيسى وعروة وإبراهيم بن الأشتر» «سيد النخع» و«فارسها»، ومسلم ابن عمر الباهلى واستولى «عبد الملك» على «العراق» وما يليها، فأمر أخاه «بشراً» على العراق وبعث الأمراء على الأعمال الأخرى - وجهز «الحجاج بن يوسف الثقفى» إلى «مكة» لحرب بن الزبير^(٢).

ولحق «مصعب» بالرفيق الأعلى بعد حياة حافلة بالجهاد مليئة بالعبر تعج بالأحداث التى تومىء بعمق الإيمان، والثبات على المبدأ مهما كانت العاقبة، وهكذا فالمسلم الواثق بربه، والمؤمن بقضيته لا تهزه الأعاصير الهوج، ولا تؤثر فيه الأحداث، وحسبه أنه مؤمن بالله ورسوله، واثق من نفسه، مؤمن بقضيته، فما أحوجنا نحن المسلمين إلى التأسى بهذه النماذج الطيبة، الصالحة، المؤمنة، الواثقة بالله، حتى يستطيع المسلم تحقيق ما يصبو إليه من أهداف، وما يتطلع إليه من نجاحات وبذلك تسعد الأمم، وترتقى، وتبلغ قمة المجد والازدهار «رحمه الله».



(١) تاريخ الطبرى المسمى بتاريخ الأمم والملوك ج٦ ص ١٥٨.

(٢) طبقات ابن سعد ج٥ ص ١٤٠ والعبر للذهبي ج١ ص ٥٩.

أبو سلمة

هو الحافظ ، التابعى الجليل أحد الأعلام بالمدينة «عبد الله» ، وقيل إسماعيل بن عبد الرحمن بن عوف بن عبد الحارث بن زهرة بن كلاب ابن مرة بن كعب القرشى الزهرى» ، ويقول صاحب التذكرة «اسم كنيته «أبو سلمة»^(١) ويعد هذا التابعى الجليل فى الطبقة الثانية كان ثقة ، فقيهاً كثير الحديث^(٢) .

وأمه «تماضر بنت الأصبع بن عمرو» ، من أهل «دومة الجندل» أدركت حياة النبى ﷺ وهى أول كلبية نكحها قرشى^(٣) وأرضعته «أم كلثوم» فعائشة -رضى الله عنها- خالته من الرضاة وكان «أبو سلمة» يخضب شعره بالسواد ، ويقول مالك عنه : «كان عندنا من رجال أهل العلم ، اسم أحدهم كنيته منهم «أبو سلمة» وكان جميل الوجه ، بهى الطلعة يقول أبو يعقوب الضبى عنه : «قدم أبو سلمة علينا البصرة فى إمارة «بشر بن مروان» وكان رجلاً صبيحاً ، كأن وجهه دينار هرقل^(٤)» ويقول الزهرى : عنه : «أربع من قريش وجدتهم بحور فى العلم وهم : عروة ، وابن المسيب ، وأبو سلمة ، وعبيد الله بن عبد الله» .

(١) سير أعلام النبلاء - للذهبي ج ٥ ص ٢٦٤ والتذكرة ج ١ ص ٦٣ .

(٢) طبقات ابن سعد ج ٥ ص ١٢٠ .

(٣) ذاته .

(٤) طبقات ابن سعد ج ٥ ص ١١٢ .

وكان «أبو سلمة» كثيرًا ما يخالف «ابن عباس - رضى الله عنهما- فحرم منه لذلك علمًا كثيرًا، ويقول «أبوسلمة» عن نفسه: «لو رفقت بابن عباس لاستخرجت منه علمًا كثيرًا»، وقال عنه «أبو إسحاق» أبو سلمة فى زمانه خير من «ابن عمر» فى زمانه.

ويروى لنا «ابن شهاب» فىقول: «قدمت مصر على «عبد العزيز» - يعنى متوليها - وأنا أحدث عن «سعيد بن المسيب»: فقال لى «إبراهيم ابن قارظ». ما أسمعك تحدث إلا عن «سعيد»؟! .. فقلت أجل فقال: «لقد تركت رجلين من قومك لا أعلم حديثًا منهما» «عروة، وأبو سلمة». يقول: «ابن شهاب»: «فلما رجعت إلى المدينة وجدت «عروة بحرًا لا تكدره الدلاء، وهنا يذكرنا بقول «حسان بن ثابت» رضى الله عنه: حين هجا «أبا سفيان بن حرب»، ومدح الأنصار والمهاجرين فقال فى هذا المعنى:

لسانى صارم لا عيب فيه وبحرى لا تكدره الدلاء

ومع علمه، وتقواه، وزهده وورعه كان متواضعًا، ملتزمًا بكتاب الله وبسنة نبيه ﷺ حيث قال رسول الله ﷺ: «إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه» لذلك زوّج أبو سلمة ابنته بمُدٍ من تمر وكان ذلك فى زمن «بشر بن مروان».

وكان «أبو سلمة» يسير مع قوم فرأوا قطيعا من غنم، فقال: «أبوسلمة» اللهم إن كان فى سابق علمك أن أكون خليفة فاسقنا من لبنها، فلما وصل إلى القطيع وجده كله تىوس.

ويقول «خليفة بن خياط»: عزل مروان عن المدينة في سنة ثمانٍ وأربعين ووليها «سعيد بن العاص» فاستقضى «أبا سلمة بن عبد الرحمن» يعنى جعله قاضياً حتى عزل «سعيد» سنة أربع وخمسين^(١).

وحدث «أبو سلمة» - رحمه الله - عن أبيه، وأسامة بن زيد، وأم سلمة، وحسان بن ثابت، وعبد الله بن عمر، وابن عباس وغيرهم، كما حدث عنه ابنه «عمر بن أبي سلمة» وابن أخيه «سعد بن إبراهيم»، وابن أخيه «عبد المجيد بن سهيل» وابن أخيه زرارة بن مصعب، وعمر ابن عبد العزيز، وأبو حازم الأعرج وغيرهم كثير.

ومن الأحاديث التي رواها «أبوسلمة»: عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «لا تشدوا الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد مسجدي، والمسجد الحرام، والمسجد الأقصى»^(٢).

ومن الأحاديث التي رواها «أبو سلمة» عن أبي قتادة أنه سمع رسول الله ﷺ: «الرؤيا من الله، والحلم من الشيطان، فإذا رأى أحدكم شيئاً يكرهه فليبزق عن شماله ثلاث مرات، وليستعذ بالله من شرّها فإنها لن تضره»^(٣).

وتوفى رحمه الله سنة أربع وتسعين في خلافة «الوليد بن عبد الملك ابن مروان» وهو ابن اثنتين وسبعين سنة، ويقول الواقدي: «إن وفاته كانت سنة أربعة مائة وهو ابن اثنتين وسبعين سنة، أما «الهيثم بن

(١) تاريخ خليفة بن خياط ص ٢٢٩.

(٢) رواه البخارى فى مسجد مكة باب ١٥ «حديث رقم ١١٨٩، ومسند الإمام أحمد ج ٣ حديث رقم ٧١٩١.

(٣) رواه الإمام أحمد فى مسنده ج ٨ حديث ٢٢٥٨٨.

عدى» فيذكر ما ذكره ابن سعد في طبقاته ، وهذا القول وهو إن وفاته كانت في سنة أربع وتسعين في خلافة «الوليد بن عبد الملك بن مروان» أثبتت من قول من قاله إنه توفي سنة أربع مائة وهو قول «الواقدي» و«الذهبي» في كتابه «العبر في خبر من غبر»^(١) رحمه الله رحمة واسعة.



(١) السير ج ٥ ص ٢٦٦ والعبر - للذهبي ج ١ ص ٨٣ دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.

زَرَبْنِ حُبَيْش

الزاهد، الورع، الوافد الغادى، الذاكر فى النادى، وقد ليتعلم، وغزا ليغنم، تحمّل الكلال طلباً للكمال، فزهّد وثبت فى الوصال، وقيل إن التصوف: التحمّل للكلال، والتحرز من الملل، والترويح بالوصال، «زر بن حُبَيْش^(١)»، ابن حباشة بن أوس، الإمام القدوة، مقرئ الكوفة ويكنى «أبو مريم» الأسدى، الكوفى، ويكنى أيضاً، «أبا مطرف».

ويذكر صاحب الطبقات فيقول: «هو زر بن حُبَيْش الأسدى» أحد بنى غاضرة بن مالك بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة، ويكنى «أبا مريم» ويذكر «ابن عبد البر» فيقول زر بن حُبَيْش بن حشاشة بن أوس بن هلال، أو بلال يكنى «أبا مريم» أدرك الجاهلية، ولم ير النبى ﷺ وهو فى جلة التابعين، وهو من كبار أصحاب ابن مسعود، وأدرك «أبا بكر، وعمر» و«وروى عن عمر وعلى»، رضى الله عنهما أجمعين وكان عالماً بالقرآن، قارئاً، فاضلاً ويعد فى الكوفيين^(٢) وكان رحمه الله ملازماً لكبار الصحابة، غارفاً من بحارهم، شاربياً من حياضهم، حافظاً عنهم، راوياً لهم، وفى هذا المعنى يروى لنا «زر بن حُبَيْش» فيقول: «خرجت فى

(١) الحلية - ج ٤ ص ١٨١ - وسير أعلام النبلاء - للذهبي ج ٥ ص ١٧٩، والكاشف الذهبى

ج ١ ص ٢٥٠.

(٢) الاستيعاب - لابن عبد البر ج ٢ ص ٥٦٣ ت/٧٨٦٩ وأيضاً التهذيب ج ٣ ص ٣٢١.

وفد لأهل الكوفة، وأيم الله إن حَرَضْتَنِي عَلَى الْوَفَادَةِ إِلَّا لِقَاءَ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ - وفي هذا دليل على أن التابعي الجليل «زر بن حُبَيْش» هاجر من أجل أن يلتقي بأصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار - فلَمَّا قَدِمْتَ الْمَدِينَةَ لَزِمْتَ أَبِي بِنِ كَعْبٍ وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - مَجَالِسًا لَهُمْ، وَأَخَذًا عَنْهُمْ فَلَمْ تَكُنْ رِحْلَتَهُ إِليهِمْ إِلَّا لِلحُبِّ وَالصَّحْبَةِ وَالْإِفَادَةِ مِنْ عُلُومِهِمْ وَغَزِيرِ مَعْرِفَتِهِمْ، وَالقَيْسِ مِنْ أَنْوَارِ هِدَايَتِهِمْ وَيَبْدُو لَنَا مِنْ خِلَالِ تَصْفِحِ سِيرَةِ التَّابِعِيِّ «زَرِّ بْنِ حُبَيْشٍ» - رَحِمَهُ اللَّهُ - أَنَّهُ كَانَ حَرِيصًا عَلَى الْإِلْتِقَاءِ بِصَحَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حُبًّا وَأَمَلًا، حُبًّا فِي قَائِدِهِمْ وَقَدُوتِهِمْ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ وَأَمَلًا فِي الْإِفَادَةِ مِنَ الصَّحَابَةِ الْأَجْلَاءِ مِنْ أَمْثَالِ «أَبِيِّ بِنِ كَعْبٍ» وَ«عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ»: وَغَيْرِهِمْ مِنَ الصَّحَابَةِ، وَدَلِيلُ ذَلِكَ مَا يَرْوِيهِ لَنَا «زَرِّ بْنِ حُبَيْشٍ»: وَفَدَتْ فِي خِلَافَةِ «عُثْمَانَ» رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَإِنَّمَا حَمَلْنِي عَلَى الْوَفَادَةِ إِلَّا لِقَاءَ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَلَقَيْتُ «صَفْوَانَ بْنَ عَسَّالٍ» فَقُلْتُ لَهُ: «لَقَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «صَفْوَانَ بْنَ عَسَّالٍ» نَعَمْ وَغَزَوْتُ مَعَهُ «اِثْنَتَيْ عَشْرَةَ غَزْوَةً»^(١).

وَإِنْ «زَرِّ بْنِ حُبَيْشٍ» كَانَ حَرِيصًا عَلَى لِقَاءِ الصَّحَابَةِ وَالْإِفَادَةِ مِنْهُمْ وَتَلَقَّى الْعِلْمَ مِنْهُمْ، وَذَلِكَ بِكَثْرَةِ السُّؤَالِ لَهُمْ وَدَلِيلُ ذَلِكَ مَا يَرْوِيهِ لَنَا «زَرِّ ابْنِ حُبَيْشٍ» فَيَقُولُ: «أَتَيْتُ الْمَدِينَةَ فَدَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَإِذَا أَنَا بِأَبِي بِنِ كَعْبٍ» فَأَتَيْتُهُ فَقُلْتُ: «رَحِمَكَ اللَّهُ أبا الْمُنْذِرِ» اخْفِضْ لِي جَنَاحَكَ، وَكَانَ امْرَأً فِيهِ شِرَاسَةٌ وَيَعْنِي السُّؤَالَ عَنْ هَذَا الْأَمْرِ، فَسَأَلْتَهُ عَنْ لَيْلَةِ الْقَدْرِ

(١) الحلية - ج ٤ ص ١٨٢.

قال: «أبي بن كعب» هي ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان، قلت
«أبا المنذر - رحمك الله - أين علمت ذلك؟»

قال: «أبي بن كعب» بالآية التي أخبرنا بها النبي ﷺ ويعنى السور
ذاتها ثم سألت ما آية ليلة القدر وما علامتها فقال لي: إنها تطلع الشمس
حين تطلع ليس لها شعاع وحين ترتفع وبعدها.

كان «زر بن حبيش» يقول للناس: «لولا مخافة سلطانكم لوضعت يدي في
أذني، ثم ناديت ألا إن ليلة القدر في رمضان في العشر الأواخر، في السبع
الأواخر، قبلها ثلاث وبعدها ثلاث نبا من لم يكذبني عن نبا من لم يكذبه
يعنى «أبي بن كعب» عن النبي ﷺ ويقول صاحب «تهذيب التهذيب» عن
عاصم عن زر بن حبيش أنه قال خرجت في وفد من أهل الكوفة وأيم الله
إن حرصتني على الوفاة إلا لقاء أصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين
والأنصار - فلما قدمت المدينة أتيت «أبي بن كعب» و«عبد الرحمن بن
عوف» وكانا جليسي وصاحبي فقال «أبي بن كعب» يا «زر» ما تريد أن تدع
آية من القرآن إلا سألتني عنها قال: فقلت: في أي شيء أتيت؟.. فقلت:
يا أبا المنذر - رحمك الله - أخفض لي جناحك، فإنما أتمتع منك تمتعاً^(١).

ويقول «زر بن جحش» أيضاً أتيت «صفوان بن عسال»، فقال: ما جاء
بك؟... فقلت: «جنئت أبتغي العلم قال: «ما من رجل خرج من بيته
ابتغاء العلم إلا وضعت الملائكة أجنحتها رضاء بما يعمل».

وقد نال إعجاب الكثيرين من معاصريه، وشهدوا له بالحرص
على طلب العلم، والسعى في تحصيله، وملازمة العلماء من الصحابة

(١) تهذيب الكمال - ج ٦ ص ٢٩٥.

الأجلاء، فيروى لنا «حزم بن النعمان» عن «عاصم» فيقول: «ما رأيت رجلاً أقرأ من «زرّ بن حُبَيْش».

وفى رواية أخرى ما رأيت مثله - وكان من أعلم الناس باللغة العربية حتى إن «عبد الله بن مسعود» - رضى الله عنه - كان يسأله عن العربية. كما شهد له معاصروه بالورع، وأنه قَوَّامًا لِلَّيْلِ، فعن عاصم قال: «أدرکت أقواما كانوا يتخذون هذا الليل جملاً وفى «تهذيب الكمال» كانوا يتخذون الليل جملاً، يلبسن المنصفر - من الثياب منهم «زرّ ابن حُبَيْش» ويعنى بذلك أنهم كانوا يقومون بالليل راكعين ساجدين، قائمين، عابدين، ولربهم ذاكرين فهؤلاء أقوام يصدق فيهم قول الحق سبحانه ﴿ نَتَجَافَى جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ (١٦) ﴿١١﴾.

وقد كتب «زرّ بن حُبَيْش» إلى عبد الملك بن مروان كتاباً يعظه فيه وكان فى آخر الكتاب الذى كتبه له هذه العبارات: «ولا يطمعك يا أمير المؤمنين فى طول الحياة ما يظهر من صحتك فأنت أعلم بنفسك واذكر ما تكلم به الأولون:

إذا الرجال ولدت أولادها وبليت من كبر أجسادها^(١)
وجعلت أسقامها تعتادها تلك زروع قد دنى حصادها
فلما قرأ «عبد الملك بن مروان» الكتاب بكى حتى بل طرف ثوبه ثم قال: «صدق» زرّ بن حُبَيْش «لو كتبَ إلينا بغير هذا لكان أرفق»^(٢).

(١) سورة السجدة آية رقم (١٦).

(٢) صفة الصفوة - لابن الجوزى ج-٢ ص ١٩.

(٣) الحلية - ج-٤ ص ١٨٤.

وأدرك «زَرَّ بن حُبَيْش» الخلفاء الراشدين - رضوان الله عليهم -
 أجمعين وسمع من عمر بن الخطاب - وعلى بن أبي طالب -رضى الله
 عنهما «واقتبس من علماء الصحابة من أمثال أبي بن كعب، وعبد الله
 ابن مسعود، وحذيفة بن اليمان - رضى الله عنهم أجمعين.
 وقد عمَّر رحمه الله - حتى إن «إسماعيل بن أبي خالد» قال: «رأيت
 «زَرَّ بن حُبَيْش» تختلع لحيَّاه كبيرًا حيث أتى عليه عشرون ومائة سنة
 وأن لحيَّيه ليضطربان من الكبر^(١).

وكان - رحمه الله - يحب «عليًا بن أبي طالب» - رضى الله عنه -
 ورؤى فى زهده أن «عاصم بن أبي النجود» قال: أكثر ما رأيت «زَرَّ بن
 حُبَيْش» يأتى فى ثوب واحد وقد عقده على عنقه حتى يدخل فى الصفِّ
 مع القوم.

وكان غيورًا على الإسلام - فيروى أن رجلا من الأنصار مرَّ على «زَرَّ
 ابن حُبَيْش» وهو يؤذن فقال له الأنصارى «يا أبا مريم - قد كنت أكرمك
 عن ذا، وفى رواية أخرى أنه قال له: «كنت أكرمك عن ذا، أو قال عن
 الآذان^(٢)» فقال: «زَرَّ بن حُبَيْش» للأنصارى: «إذا لا أكلمك حتى تلحق
 بالله»، وكان رحمه الله - ثقة كثير الحديث.

وحدَّث - رحمه الله - عن عمر بن الخطاب و أبي بن كعب، وعثمان
 ابن عفان، وعلى بن أبي طالب، وصفوان بن عسال، وآخرون وتصدَّر
 للإقراء، فقرأ عليه «يحيى بن وثاب، وعاصم بن بهدلة وأبو إسحاق،

(١) الطبقات الكبرى - لابن سعد ج ٦ ص ٧١.

(٢) تهذيب الكمال فى أسماء الرجال ج ٦ ص ٢٩٥.

والأعمش وغيرهم - كما حدّث عنه كثرة كثرة منهم المنهال بن عمرو، وعبد بن أبي لبابة - وعبيد بن ثابتة وآخرون وقد كان رحمه الله عالماً بالقرآن، قارئاً، فاضلاً وقال العجلي «كان من أصحاب علي وعبد الله، ثقة، وقال «أبو جعفر البغدادي» العُصْفُرُ: نبات سُلافتَه، «الجربال» وهى معلاية ويقول ابن سيده العصفُر: هذا الذى يصبغ به، وعصفت الثوب فتعصفُر.

فالمعصفُر من الثياب أى الثياب المصبوغة بنبات العصفُر^(١).

ومات - رحمه الله - سنة إحدى وثمانين، وفى طبقات خليفة مات سنة اثنتى وثمانين، قلت لأحمد «فَرَزَ وعلقمة الأسود؟: «هؤلاء أصحاب ابن مسعود / وهم الثبت فيه».

ومات سنة ثلاثة وثمانين وهو ابن مائة وعشرين سنة حيث مات «بدير جماجم^(٢)».

وكانت وقعة الجماجم فى شعبان سنة ثلاث وثمانين بعد حياة حافلة بالعبادة والزهد، والورع، والتقوى والترحال للقاء أصحاب رسول الله والأخذ عليه السلام عنهم والإفادة منهم رضى الله عنهم أجمعين.



(١) لسان العرب - لابن منظور ج ٤ ص ٢٩٧٣ وما بعدها مادة «عصفُر» ج ١ دار المعارف بالقاهرة.

(٢) طبقات خليفة بن خياط، وتهذيب التهذيب ج ٣ ص ٢٧٧ وما بعدها.

قيل له بدير الجماجم / لأنه كان يعمل فيه أقذاح من الخشب.

الرَّبِيعُ بْنُ خُثَيْمٍ

القدوة العابد، والمخبت الورع، المثبت القنع، الحافظ لسره والضابط لجهره، المعترف بذنبه، المفتقر إلى ربه «أبو يزيد الربيع بن خثيم» أحد الثمانية من الزهاد.

وقد قيل إن التصوف مشارفة السرائر، ومصادفة الظواهر ويكنى «أبو يزيد الثوري»، الكوفي أحد أعلام التابعين رحمهم الله أجمعين. ويذكر الذهبي فيقول: هو «الرَّبِيعُ بْنُ خُثَيْمِ بْنِ عَائِذٍ» ويروى عن أبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود فيقول: «كان الربيع بن خثيم إذا دخل على ابن مسعود لم يكن له إذن لأحد يفرغ كل واحد من صاحبه، فقال ابن مسعود: «يا أبا يزيد لو رآك رسول الله ﷺ لأحبك، وما رأيتك إلا ذكرت المخبتين يعني ابن مسعود - أننى حين أراك يا أبا يزيد ذكرتني المخبتين الطائعين، المذعنين المنقادين لله عز وجل، وتلك منقبة عظيمة للتابعي الجليل: «الرَّبِيعُ بْنُ خُثَيْمِ» الثوري، الكوفي - رحمه الله-.

وكان إذا أتاه الرجل يسأله قال له: «اتق الله فيما علمت، وما استأثر به عليك فكله إلى عالمه، لأننا عليكم فى العمدة أخوف منى عليكم فى الخطأ وما خيركم اليوم بخير، ولكنه خير من آخر أشر منه، وما تتبعون الخير حق اتباعه، وما تفرون من الشر حق فراره، ولا كل ما أنزل الله على محمد ﷺ أدركتم..»

ثم يقول: «السرائر السرائر اللاتي يَخْفَيْن من الناس وهن لله لو اذ أى لاجئين إليه عائذين به، وفي القرآن الكريم: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾ (٦٣) التمسوا دواءهن إلا أن يتوب ثم لا يعود»^(١).

وروى بعض الصالحين عنه فقال: صحبت الربيع عشرين عامًا ما سمعت منه كلمة تعاب.

ويروى لنا النورى فيقول: «جالست» الربيع بن خثيم «سنتين فما سألتني عن شيء مما فيه الناس إلا إنه قال لي مرة «أمك حية؟» ومعنى ذلك أن «الربيع ابن خثيم» ذينكم العابد الورع، والزاهد التقى، والمؤمن النقى. لا يتدخل فيما لا يعنيه، ولا يكثر السؤال في شيء لا يهمه ولا يعود عليه بنفع، ولا يحصل من ورائه ثوابًا، وهذا خلق إسلامي ومسلوك محمدي، حيث قال ﷺ «من حسن المرء تركه ما لا يعنيه».

وقول رسول الله ﷺ: في هذا المعنى أيضًا: «أوصاني ربي بتسع ومنها أن يكون صمتي فكرا، ولساني ذكرا، ونظرتي عبرا».

وقول النبي ﷺ لسعد حين طلب منه أن يكون من أهل الجنة حيث قال لسعد لرسول الله عليه السلام اضمن لي الجنة، فقال له رسول الله ﷺ «يا سعد إذا ضمننت ما بين فكيك وما بين فخذك اضمن لك الجنة».

وقد خص النبي ﷺ هذين العضوين بالذكر لأنهما من أخطر الأعضاء في الجسد، وهما «اللسان، والفرج».

(١) سورة النساء آية رقم (٦٣).

(٢) سير أعلام النبلاء - للذهبي ج٥ ص ٢٤٣ وما بعدها.

فنرى التابعيَّ الزَّاهد: «الربيع بن خثيم» يجالسه الرجل سنين لا يسأله عن شيء إلا عن أمه أهي حية أم لا، وذلك دليل شغله بالله فقط والعمل للدار الآخرة.

وكان «الربيع بن خثيم»: «إذا قيل له كيف أصبحتم؟»: «ضعفاء مذنبين نأكل أرزاقنا، وننتظر آجالنا»^(١).

ومن حكمه الغوالي قوله: «كل ما لا يراد به وجه الله يضمحل» يعني يقل، ويذبل، ويفنى ويذول.

وكان «الربيع بن خثيم» رحمه الله قد أصابه الفالج، وهو مرض الشلل -سلام قولاً من رب رحيم - فقيل له: «قد رخص لك حيث كان يقاد للصلاة وبه هذا المرض، فقال رحمه الله: «إني أسمع حتى على الصلاة فإن استطعتم فأتوها ولو حبواً، وقيل له مرة لو تداويت، فقال «ذكرت عاداً وثمروداً، وأصحاب الرس، وقرونا بين ذلك كثير أن كانت فيهم أوجاع وكانت لهم أطباء، فما بقي المداوى ولا المداوى إلا وقد فني»^(٢). وكان إذا أخذ عطاءه أى ما فرض له من بيت مال المسلمين فرقه ووزعه على الفقراء، وترك جزءاً يسيراً يكفيه، ولقد كان -رحمه الله- من معادن الصدق وقد جاء بن الكواء إلى الربيع بن خثيم فقال له: «دلني على مَنْ هو خير منك فقال له: «مَنْ كان منطقه ذكراً، وصمته تفكراً، ومسيرة تدبراً، فهو خير مني»^(٣).

(١) ذاته.

(٢) ذاته ص ٢٤٤.

(٣) الحلية ج٢ ص ١٠٦.

وكان الربيع أروع أصحاب عبد الله بن مسعود^(١).
 ويروى لنا سفيان الثوري فيقول: «عن العلاء بن المسيب عن أبي يعلى الثوري
 قال: «كان في بنى ثور ثلاثون رجلا، ما منهم رجل دون الربيع بن خثيم».
 ويقول الشعبي: ما رأيت قوماً قط أكثر علماً، ولا أَلْف عن الدنيا من
 أصحاب عبد الله ولولا ما سبقهم من الصحابة، ما قدمنا عليهم أحداً^(٢).
 ومن حكمه الغوالي قوله: «أما بعد، فأعد زادك، وخذ في جهادك،
 وكن وصي نفسك».

وأخذ يطعم رجلا به خبل، وذهول عن النفس، فجعل يطعمه ولعابه
 يسيل من فمه فقيل له ما ندرى أكل هذا أم لا، فقال «الربيع» لكن الله
 يدري^(٣)، وقد بلغ من ورع أن عمله كان خالصاً لوجه الله، حتى إنه
 كان إذا قرأ في المصحف، ودخل عليه أحد غطى المصحف بثوبه ليكون
 بمنأى عن الرياء ويكون العمل خالصاً لوجه الله^(٤).
 وقد قال لأصحابه يوماً واعظاً، وناصحاً، ومرشداً إلى الخير، والأوبة
 إلى الله عز وجل، ومراقبته في السر والعلن تدرسون ما الداء، وما الدواء
 والشفاء؟.. قالوا: لا فقال لهم: رحمهم الله: «إن الداء هو الذنوب
 والدواء هو الاستغفار والشفاء هو أن تتوب ثم لا تعود^(٥). وكان يبكي حتى
 تبتل لحيته ويقول «أدر كنا أقواماً كنا في جنبهم لصواً».

(١) ذاته ص ١١٧.

(٢) سير اعلام النبلاء ج ٥ ص ٢٤٥٦.

(٣) الحلية ج ٢ ص ١٠٧ بتصريف.

(٤) ذاته بتصريف.

(٥) الحلية ج ٢ ص ١٠٨.

ويقول - رحمه الله - «مَنْ استغفر الله تعالى كتب في راحته مِنْ»^(١)
من العذاب ومَرَّ يوماً على حدادٍ فلما رأى النار لدى الحدادِ خَرَّ مغشياً
عليه».

وقيل له يوماً: ما نراك تغيب أحداً ولا تذمه، فقال له ويحك يا ابن
الكواء وهو الذى كان قد سأله: «ما أنا عن نفسى براض فأتفرغ من ذنبى
إلى حيث إن الناس خافوا الله تعالى على ذنوب الناس، وأمنوه على
نفوسهم»^(٢)، ويقول رحمه الله: «الناس رجلان: مؤمن وجاهل، فأما المؤمن
فلا تؤذه، وأما الجاهل فلا تجاهله، وقد سُرق له فرسٌ يوماً فقال أهل
مجلسه ادع الله عليه، فقال الربيع بن خثيم بل أدعو الله له: «اللهم إن
كان غنياً فأقبل بقلبه، وإن كان فقيراً فأغنه»^(٣).

وكان يقول - رحمه الله - : «أكثرُوا ذكرَ هذا الموت الذى لم تذوقوا
قبله مثله ويقول ما غائب ينتظره المؤمن خيراً من الموت».

ولما حضر الربيع الموت، بكت ابنته عليه فقال: يا بنيه لم تبكين؟! ..
يا بشرى أتى الخير وكان عبد الله بن مسعود رضى الله عنه إذا رأى
الربيع بن خثيم قال: وبشر المحبتين، وإذا رأى أبا وائل قال: «التائب»^(٤)
وكان كثير البكاء، والسهر فرقت أمه لحاله فقالت له يا بني لعلك قتلت
قتيلاً!، فقال نعم قد قتلت قتيلاً، قالت أمه: ومن هذا القتيلى يا بني
حتى يتحمل على أهله فيعفون؟! .. والله لو يعلمون ما تلقى من البكاء

(١) ذاته ص ١٠٩.

(٢) ذاته ١١٠.

(٣) ذاته ص ١١١.

(٤) ذاته ص ١١٤.

والسهر بعد لقد رحموك فيقول لها الربيع: يا والدتي ليس قتيلًا حقًا كما تظنين، وتتهمين إنما قتلت نفسي ذلك هو القتل^(١) نعم إنه قتل نفسه الأمانة بالسوء، وارتقى بها إلى العالم العلوي ضاربًا بالدنيا وجه عشاقها، ومسلماً الأمور لأربابها، فهنيئًا لمن قتل نفسه، وكبح جماح شهواته فيكون بذلك قد رضى عن الله ورضى الله عنه، وسعد في دنياه، ونجا من العذاب في آخراه وكان رحمه الله إذا سجد في صلاته كأنه ثوب مطروح، فتجىء العصافير فتقع عليه، وكان يقول للسائل إذا جاءه: «اطعموه سكرًا فإن الربيع يحب السكر، ويعنى بالسكر: الاستغراق في حب الله بكليته».

وسئل عنه بعض الصالحين أنت أكبر أم الربيع؟ فقال لهم: «أنا أكبر منه سنًا، وهو أكبر منى عقلاً^(٢) وقد جاءته ابنته يومًا فقالت له: «يا أبتاه أذهب ألعب؟.. فقال لها اذهبي فقولي خيرًا».

وكان رحمه الله كريمًا، متصدقًا حتى لقد روى عنه - أنه كان لا يعطى السائل أقل من رغيف ويقول: «إنى لأستحيى من ربي عز وجل أن أرى غدا في ميزاني نصف رغيف^(٣)».

ولقد روى رحمه الله عن: «عبد الله بن مسعود، وأبي أيوب الأنصاري، وعمرو بن ميمون وهو قليل الرواية إلا إنه كبير الشأن. وروى عنه «الشعبي، وإبراهيم النخعي، وهلال بن سياف، ومنذر التوري وهيدة بن خزيمة وآخرون».

(١) الحلية ج ٤ ص ١٠٢.

(٢) ذاته ص ١١٥ يتصرف.

(٣) ذاته ص ١١١.

ومن الأحاديث التي رواها رحمه الله «عن الربيع بن خثيم» عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه - عن النبي صلى الله عليه وسلم - أنه خَطَّ خطًّا مربعًا وجعل في وسط الخط خطًّا : وجعل خطًّا خارج من الأربعة دائرة وجعل حوله حُرُوفًا وخط حولها خطوطًا فقال : «المربع الأجل ، والخط الوسط الإنسان وهذه الدائرة الخارجة «الأمل» وهذه الحروف «الأغراض» فالأغراض تصيبه من كل مكان كلما انفلت من واحدة أخذت واحدة والأجل قد حال دون الأمل»^(١).

وتوفى رحمه الله سنة خمس وستين للهجرة، وقيل في التذكرة «مات في خلافة يزيد بن معاوية» وفي الكاشف أنه مات قبل السبعين رحمه الله رحمة واسعة وجعله قدوة للشباب المسلم.



(١) الحليمة جـ ٢ ص ١١٧ - تذكرة الحفاظ - للذهبي جـ ١ ص ٥٧، والكاشف جـ ١ ص ٢٣٥ وتاريخ الإسلام في إعداد الطبقة السابعة وفيات ٦١/ ٨٠ ص ١١٥ ت/ ٣٢، تهذيب الكمال جـ ٦ ص ١٣٠ ت/ ١٨٤٢، تقريب التهذيب جـ ٢ ص ٢٩٨، تهذيب التهذيب جـ ١٠ ص ٤٢٤، تاريخ البخارى الكبير جـ ٨ ص ١٣٨.

وكيع بن الجراح

ومن التابعين الأجلاء، الزَّاهد النَّصَّاح، الورع المفصَّاح «وكيع بن الجراح»، ويكنى «أبا سفيان»، ويذكره ابن سعد فيقول: «هو وكيع بن الجراح بن مليح بن عدى بن الفرّس بن سفيان بن الحارث بن عمرو ابن عبّيد بن رؤاس بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، ويكنى «أبا سفيان».

حجَّ رحمه الله سنة ست وتسعين ومائة ولحق بربه عز وجل بعد منصرفه من الحج، في مكان اسمه «فَيْد» في شهر المحرم سنة سبع وتسعين ومائة يعني بعد أدائه لمناسك الحج بسنة تقريباً.

وكان ذلك في خلافة «محمد بن هارون» وكان - رحمه الله - ثقة مأموناً، عالماً، رفيعاً، كثير الحديث، كما أنه كان حُجة^(١) رحمه الله. كان يُشهد له بالعلم والبراعة والإتقان لقراءة القرآن الكريم، فلقد سئل عنه ابن المبارك مَنْ رجل الكوفة اليوم؟.. فسكت ابن المبارك وأجاب سائله بقوله رجل المقرئين ابن الجراح يعني «وكيعاً» وقال عنه «الإمام أحمد بن حنبل»: «ولو إنك رأيت وكيعاً رجلاً لم تر بعينيك مثله قط^(٢)».

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٦ ص ٢٧٥ بتصرف وحلية الأولياء/ لأبي نعيم ج ٨ ص ٣٦٨.

(٢) ذاته بتصرف.

ويقول «يحيى بن معين» : سمعت وكيعًا يقول : ذهبت إلى أبي بكر ابن عياش ومعى أحمد فانتخبت عليه أحاديث ، فلما حدثنا به وقمنا قال أبو بكر : «لأحد الجالسين بجواره تدرى من انتخب هذه الأحاديث؟.. ثم استطرد قائلاً: انتخبها رجل أى رجل يريد أن يقول: إن هذه اختارها رجل حاذق فى العالم، ماهر بدروب الأحاديث، مشهود له فى هذا المضمار، وهو ثبت، حجة، ثقة، وهذه شهادة من أولى العلم «لوكيع» - رحمه الله - وكانت له منزلة سامقة، عالية، ومكانة شامخة رفيعة بين علماء عصره، قد احتل مكانة مرموقة بين العلماء وطلاب العلم حتى إنه جلس مكان «سفيان الثورى» بعد رحيله، لينهل طلاب العلم من غزير معارفه، ووفرة علومه، ولولا أنه صاحب قدم راسخة فى العلم والمعارف، وفى مقدمتها «القرآن الكريم» ما استطاع أن يجلس مكان «سفيان الثورى» وما أدراك ما «سفيان الثورى» ورعًا، وزهدًا، وخلقًا، وحكمة، وعلمًا، كما كان «وكيع ابن الجراح» - رحمه الله - زاهدًا، ورعًا، كثير الخشية من الله عز وجل لذلك ترى السائب بن جنادة يقول: جالست «وكيع بن الجراح» سبع سنين فما رأيته بزق يعنى بصدق على الأرض وما رأيته مسًّا والله حصة بيده، وما رأيته جلس مجلسه فتحرك، وما رأيته إلا مستقبل القبلة، وما رأيته يحلف بالله.

وإن دلَّ هذا فإنما يدل على شدة ورع «وكيع بن الجراح» حيث إنه لم يبصق على الأرض قط لعلمه أن الأرض تسبح لله يقول تعالى ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تُفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ (٤٤) علماء بأن

(١) سورة الإسراء آية رقم (٤٤).

صوفياً نهي عن البصق على الأرض فقالوا له : لا تبصق على الأرض لأنها
تسبح لله ، فبصق ذلك الصوفى على الأرض وقال لمن ينهاه عن ذلك «مسبح
بمسبح» يعنى أن الأرض تسبح لله وأنا أيضاً أسبح لله ، فاختلط مسبح
بمسبح ، وذلك دليل على ورع «وكيع» وما رآه يحلف بالله عملاً بقول الحق
سبحانه ﴿ وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ ﴾ (البقرة: ٢٢٤) ويقول
قتادة رضى الله عنه : فى تفسير قوله تعالى ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ
(الأنعام: ١٠٩) من حلف بالله فقد جهد اليمين يعنى من أقسم بالله
فقد أقسم بأغلظ الأيمان وأقواها ، وينبه النبى ﷺ إلى أن الحلف الحقيقى
لا يكون إلا «بالله» فيقول عليه الصلاة والسلام «من كان حالفاً فليحلف
بالله أو ليذر» وفى رواية أو ليصمت .

ولزهده ، وورعه وتقواه يقول عنه « الحسين بن أبى يزيد» صاحبت
«وكيع بن الجراح» إلى مكة فما رأته متكأ ، ولا رأته نائماً فى
محملة^(١) وكانوا يسمونه براويل «سفيان الثورى» .

وقيل «لوكيع» أنت رجل قديم الصيام ، وأنت كذا وكذا فعلى ماذا؟
فقال «وكيع» -رحمه الله- بفرحى على الإسلام^(٢) .

وحرى بالعارف الزاهد «وكيع بن الجراح» أن يقول ذلك لأن الإسلام
من كبرى النعم التى أنعم الله بها على المسلمين ، يقول الله عز وجل
﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَمَّتْ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ (٣)

(١) الحلية ج ٨ ص ٣٦٩ .

(٢) ذاته .

(٣) سورة المائدة آية رقم (٣) .

فما دام، العبد مسلماً، موحدًا فإن ذلك نعمة أنعمها الله عز وجل عليه حيث هداه للإيمان، ووقفه للإسلام، وجنبه الشرك نعوذ بالله منه وكان - رحمه الله - محافظاً على الصلاة، وكان يقول: «مَنْ لم يأخذ أهبة الصلاة قبل وقتها لم يكن وقرها يعنى لم يكن أعطاها حقها».. وقال أيضاً: «مَنْ تهاون بالتكبير الأولى فاغسل يديك منه، ويقول عنه «مروان» ما وصف لى أحد إلا رأيته دون الصفة التى وصفت لى إلا «وكيع بن الجراح» فإننى رأيته فوق ما وصف لى^(١).

وقد ناظره، وناقشه، وحاوره رجل يوماً فى شىء من أمر المعاش أو الورع، فقال له «وكيع» من أين تأكل؟.. فقال له الرجل: «أكل من ميراث ورثته عن أبى، فقال له «وكيع»: «من أين هو لأبيك؟».. فقال الرجل «لو كيع»: ورثه عن أبيه، فقال له «وكيع بن الجراح»: لو أن رجلاً نذر لا يأكل إلا حلالاً، ولا يلبس إلا حلالاً، ولا يمشى إلا فى حلال لقلنا له: «اخلع ثيابك وارم بنفسك فى نهر الفرات، ولكن لا تجد إلا السعة، ثم قال وكيع، لو أن رجلاً بلغ فى ترك الدنيا مثل «سلمان الفارسى»، وأبى ذر الغفارى، وأبى الدرداء، ما قلنا زاهداً، لأن الزهد لا يكون إلا على ترك الحلال المحض، والحلال المحض لا نعرفه اليوم، فالدنيا عندنا حلال، وحرام، وشبهات، فالحلال حساب، والحرام عذاب، والشبهات عتاب، فانزل الدنيا بمنزلة الميتة، وخذ منها ما يقيمك، فإن كانت حلالاً كنت قد زهدت فيها، وإن كانت حراماً كنت قد أخذت منها ما يقيمك يعنى ما تحتاج إليه من قوت، وطعام وشراب،

(١) ذاته ص ٣٧٠ بتصرف.

ولباس، لأنه لا يحل لك من الميتة إلا قدر ما يقيمك، وإن كانت شبهات كانت فيها عتاب يسير، فوكيع هنا يشدد في الزهد والورع، فيطالبنا جميعاً بأن نجعل الدنيا في نظرنا مثل الميتة التي لا يجوز أكلها إلا في حالة الاضطرار بمعنى أنه من الواجب على المسلم ألا يتعلق بالدنيا كل التعلق، بل يأخذ منها ما يقيم أوده ويغنيه عن السؤال أو الحاجة إلى الناس فشبّه الدنيا بالميتة التي لايجوز تناولها إلا في حالة الاضطرار كذلك الدنيا تأخذ منها بقدر ما يسد حاجياتك فإنها متاع الغرور وكان يعظ الناس قائلاً: «إنما العاقل من عقل عن الله أمره» وليس من عقل أمر دنياه، ويروى عنه ابنه «مليح ابن وكيع» فيقول: لما نزل بأبى الموت أخرج إلى يده، فقال ترى يدي؟!، ما ضربت بها شيئاً قط قال «مليح» وحدثني داوود بن يحيى بن يمان فقال: رأيت رسول الله ﷺ في النوم فقلت له: يا رسول الله من الأبدال؟.. فقال عليه الصلاة والسلام: الذين لا يضربون بأيديهم شيئاً وإن وكيع بن الجراح منهم^(١).

أرأيت منزلة «وكيع بن الجراح»؟! حقاً إنه من الزهاد الأوائل الذين أنزلهم الورع هذه المنزلة حيث رأى ابن يمان رسول الله -عليه السلام- وهو الذي يقول: من رآني فقد رآني حقاً فإن الشيطان لا يتمثل بي فسأله عن الأبدال فأجابه بقوله: هم الذين لا تمتد أيديهم بأذى لأحد من خلق الله، وإن «وكيع بن الجراح» من هؤلاء.

(١) الحلية ج ٨ ص ٣٧١.

فهذه شهادة من رسول الله ﷺ «لو كيع»، وسئل ابن المبارك عنه فقيل له: يا أبا عبد الرحمن: مَنْ خَلَفْتَ بالعراق قال «وكيع»، وقلت ثم مَنْ؟.. قال ثم «وكيع» يعنى لا أحد سوى «وكيع» يسد مسده فى العلم والحديث والفتوى، وقراءة القرآن.

وقد أسند «وكيع» عن الأئمة والأعلام ما لا يحصى من الأحاديث ولا يُعدّ، ومن الأحاديث التى رواها «وكيع» عن إسماعيل بن أبى خالد قال «سمعت ابن أبى أوفى يقول لو كان بعد النبى ﷺ ما مات ابنه^(١)، وأيضاً من رواياته قول النبى عليه الصلاة والسلام إذا أراد الله قبض عبداً بأرض جعل له إليها حاجة^(٢).

لقد كانت حياة «وكيع بن الجراح» حياة عامرة بالإيمان، مزدانة بالتقوى مرصعة بخشية الله عز وجل فهو بحق إمام، وقدوة حسنة لشبابنا المسلم الذى هو فى مسيس الحاجة إلى جرعة روحانية، ودفعة إيمانية تحفزه إلى العبادة، والطاعة، والوقوف شامخاً كالطود الشامخ، والجبال الراسيات أمام الرياح الهوج، رياح الفتن والغزو الفكرى، والدعاوى المسمومة والشبهات الباطلة التى تهب علينا فى هذا العصر من كل مكان مستهدفة إسلامنا وشبابنا، ولكن ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً ۗ وَأَمَّا مَا يَبْعَثُ النَّاسُ فَيَبْكَرُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾^(٣).



(١) الحلية ج ١ ص ٣٧٤.

(٢) ذاته ص ٣٧٤.

(٣) سورة الرعد آية رقم (٣).

ابن السَّمَاك

هو التابعى الجليل، والزاهد الورع، والقُدوة فى العبادة، سيد الوعظ «محمد بن صبيح العجلى» «ابن السَّمَاك»، ويكنى «أبو العباس»، يقول عنه الذهبى: قال ابن نمير: «صدوق»، وقال مرة ليس حديثه بشيء^(١). ومن حكمه التى تدل على زهده فى الدنيا، وورعه وخشيته لله عز وجل قوله: «الذُّباب على العذرة أحسن من القارئ على أبواب الملوك» ومن حكمه الصائبة قوله «ويحك أما تغدو فى كسب الأرباح، فاجعل نفسك فيما يُكسب^(٢)» - وكان رحمه الله - رأساً فى الوعظ والإرشاد، والدعوة والعمل على هداية العباد، وقد حدث أنه وعظ «هارون الرشيد» يوماً فغشى عليه وقد كان «هارون الرشيد» رقيق القلب، تبكيه الموعظة فقد حدث أن أخطأ له يدعى «بهلول» دخل عليه ذات يوم وأخذ يعظه، فطلب أمير المؤمنين «هارون الرشيد» ماءً ليشرب فقال له «بهلول» يا أمير المؤمنين «ترى لو منع عنك هذا الماء بكم كنت تشتريه»، فقال «هارون الرشيد» بنصف مملكتى فقال له اشرب هنيئاً فلما هوى بالإناء عن فيه قال له «بهلول»: «يا أمير المؤمنين: «ترى لو حبس هذا الماء فى بطنك بكم كنت تشتري نزوله؟» فقال له هارون: «بنصف مملكتى فقال له «بهلول»: «إذا فقيم اغترارك فى مملكة لا تساوى إلا بولة واحدة -

(١) ميزان الاعتدال ج-٣ ص ٥٤٣ - وسير أعلام النبلاء / للذهبي ج-٧ ص ٥٦٦.

(٢) ذاته هامش ص ٥٦٧.

إنها - دولة بيعت ببولة وأخذ «هارون الرشيد» يبكي بكاء مُرّاً، وينتحب انتحاباً شديداً فقال أحد الجالسين: «كفى فقد أجهدت أمير المؤمنين اليوم، فقال «بهلول» «مَنْ يا أمير المؤمنين؟» فقال له «هارون» هذا أخوك «سليمان بن مجالد» فقال «بهلول» هذا أخ للشيطان، يا أمير المؤمنين هؤلاء كتموا عنك النصيحة، واتخذوك سلماً لشهواتهم فكنت كالآخذ بالقرنين وغيرك يحلب.

ومن حكم «ابن السّمك» قوله: «كم من شىء إذا لم ينفع لم يضر، لكن العلم إذا لم ينفع ضرّ»، ومن مواظبه النافعة أنه قال يوماً لأمير المؤمنين: يا أمير المؤمنين: «إن لك بين يدي الله مقاماً، وإنه لك من مقامك منصرفاً فانظر إلى أين تكون، فبكي «الرشيد» كثيراً»^(١).

ودخل «ابن السّمك» على رئيس في شفاعة لفقير فقال: «إني أتيتك في حاجة والطالب والمعطى عزيزان، إن قضيت الحاجة، ذليلان إن لم تقض، فاختر لنفسك عزّ البذل عن ذلّ المنع، وعزّ النجح على ذلّ الرّدّ. وكان يقول أيضاً - رحمه الله - «همة العاقل في النجاة والهرب، وهمة الأحمق في اللهو والطرب، عجباً لعين تلذّ بالرماد، ومملك الموت معها على الوساد، حتى متى يبلغن الوعاظ أعلام الآخرة، حتى كأن النفوس عليها واقفة، والعيون ناظرة، أفلا منبه من نومته، أو مستيقظ من غفلته، ومفيق من سكرته، وخائف من صرعته، كدحاً للدنيا كدحا، أما تجعل للآخرة منك ظناً، أقسم بالله لو رأيت القيامة تخفق بأهوالها،

(١) سير أعلام النبلاء / للذهبي ج٧ ص ٥٦٧ - العبر في خبر من غير ج١ ص ٢٢١ دار الكتب

العلمية - بيروت - لبنان.

والنار مشرقة على آلهها، وقد وضع الكتاب، وجرى بالنبيين والشهداء لسرك أن يكون لك في ذلك الجمع منزلة، أبعد الدنيا دار محتمل، أم إلى غير الآخرة منتقل؟.. هيهات ولكن صمت الآذان عن المواعظ، وذهلت القلوب عن المنافع، فلا الواعظ ينتفع، ولا السامع^(١).

ومن مواعظه أيضاً «هب الدنيا في يديك، ومثلها ضمَّ إليك، وهب المشرق والمغرب يجيء إليك، فإذا جاءك الموت فماذا في يديك؟!»، ألا من امتطى الصبر، قوى على العبادة، ومن أجمعه الناس استغنى عن الناس، ومن أهمله نفسه لم يول مرمتها غيره، ومن أحبَّ وفق له، ومن كره الشرَّ، جُنِبَ ألا متأهب فيما يوصف أمامه، ألا مستعد ليوم فقره، ألا مبادر فناء أجله، ما ينتظر من ابيضت شعرته بعد سوادها وتكرَّش وجهه بعد انبساطه، وتقوس ظهره بعد انتصابه، وكلَّ بصره وضعف ركنه، وقلَّ نومه، وبلى منه شيء بعد شيء في حياته، فرحم الله امرأ عقل الأمر، وأحسن النظر، واغتتم أيامه.

ومن مواعظه الحكيمة، والجليلة النفع، والكثيرة الفائدة، والمقبوسة من الكتاب والسنة قوله رحمه الله: «الدنيا كلها قليل، والذي بقي منها قليل، والذي لك من الباقي فقليل، ولم يبق من قليلك إلا قليل، وقد أصبحت في دار العزاء، وغداً تصير إلى دار الجزاء فاشتر نفسك لعلك تنجو^(٢)».

وقد كان - رحمه الله - من رواة الحديث عن الصحابة الذين أدركهم في حياته - رضى الله تعالى عنهم أجمعين - فقد روى عن «هشام بن عروة والأعمش»، ويزيد بن أبي زياد وغيرهم، كما روى عنه

(١) ذاته ص ٥٦٧.

(٢) ذاته ص ٥٦٨.

«يحيى بن يحيى»، وأحمد بن حنبل ويحيى بن أيوب العابد، ومحمد بن عبد الله ابن تمير، وآخرون» ومن بين الأحاديث التي رواها -رحمه الله- حدثنا «محمد السَّمَك» عن يزيد ابن زياد ، عن المسيب بن رافع ابن مسعود -رضى الله عنه- قال قال: رسول الله ﷺ : «لا تشتروا السمك في الماء لأنه غرر» يعنى مجهول ولا تعرف كيفيته، ولا نوعيته، ولا حجمه ولا وزنه، وهل هو طيب أم غير طيب.

فذلك نهى الإسلام عن شرائه في الماء، ولذلك يقول النبي - عليه الصلاة والسلام - : «مَنْ اشترى ولم ير فله الخيار إذا رأى» ومعنى الحديث أنك إذا اشتريت سلعة من السلع أو حيواناً أو بضاعة، أو غير ذلك ولم ترها فلك الخيار إذا ما رأيتها بين إنفاذ البيع، وبين الرجوع فيه، فأنت بذلك بالخيار بين إنفاذ البيع أو الرجوع فيه لأنك اشتريته دون أن تراه، وتلك حكمة الإسلام، وعدله وسماحته في البيوع. وتوفى رحمه الله سنة ثلاث وثمانين ومائة وقد تقدمت سنه، وامتد به الزمن رحمه الله.



عمرو بن ميمون الأودي

ومن أجلّة التابعين - رحمهم الله - المتحمل للعناء، العاشق للقاء، للفوز بالرضوان في دار البقاء، كان للحياة مستبقاً، وللعبادة معتقاً ضرب بالدنيا وجه عشاقها، وسلم الأمور لأربابها، زينكم العابد الزاهد، والتقى الورع «عمرو بن ميمون الأودي المذبحى الكوفى»، ويقول ابن سعد: «الأودي» وهو «أود بن صعب بن سعد العشيرة من مذبح، وهو الإمام الحجة، ويكنى «أبو عبد الله».

ويقول عنه صاحب الكاشف: «كان عمرو بن ميمون الأودي كثير الحج والعبادة وهو راجم القرودة^(١)، وقد حج «عمرو بن ميمون الأودي» مائة حجة وعمرة وعن أبى إسحاق أن «عمرو بن ميمون» حج ستين حجة وعمرة، وأنه كان يتمنى الموت ولقد نهى رسول الله ﷺ عن تمنى الموت بسبب ضرّ نزل به، وإن كان لا بأس به أى يتمنى الموت لخوف الفتنة فى الدين، فعن أبى هريرة - رضى الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «لا يتمن أحدكم الموت إما محسناً، فلعله يزداد، وإما مسيئاً فلعله يستعتب^(٢)»، وفى رواية أخرى لمسلم عن أبى هريرة - رضى الله

(١) سير أعلام النبلاء، ج ٦ ص ١٧٢، وحلية الأولياء ج ٤ ص ١٤٨، وطبقات ابن سعد ج ٦ ص ٨٠ والكاشف ج ٢ ص ٢١٦، والعبر ج ١ ص ٨٥، تهذيب الكمال ج ١٤ ص ٣٥٠. وتذكرة الحفاظ ج ١ ص ٦٥.
(٢) رياض الصالحين / للنسوى ط دار الوفاء ص ١٧٥ باب كراهة تمنى الموت وهو متفق عليه وهو لفظ البخارى .

عنه - رسول الله ﷺ قال: «لا يتمنى أحدكم الموت، ولا يدع به من قبل أن يأتيه، إنه إذا مات ابن آدم انقطع عمله وإنه لا يزيد المؤمن عمل إلا خيراً^(١)»، وعن أنس - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يتمنين أحدكم الموت لضر أصابه، فإن كان لا بد فاعلا، فليقل اللهم أحيى ما كانت الحياة خيراً لى، وتوفنى إذا كانت الوفاة خيراً لى^(٢)».

وعن قيس بن أبى حازم قال: دخلنا على «خباب بن الأرت» - رضى الله عنه - نعوده وقد اكتوى سبع كيات فقال «إن أصحابنا الذين سلفوا مضوا، ولم تنقصهم الدنيا، وأنا أصبنا ما لا نجد له موضعاً إلا التراب، ولولا أن النبى ﷺ نهانا أن ندعوا بالموت لدعوت به، ثم أتيناها مرة أخرى وهو يبني حائطاً له، فقال: «إن المسلم ليؤجر فى كل شىء ينفقه إلا فى شىء يجعله فى هذا التراب^(٣)».

ولكأنه كان يتمناه حتى لا يعيش مع الأشرار من خلق الله، فكان يقول «اللهم لا تخلفنى مع الأشرار، والحقنى بالأخيار»، ولا حرج فى ذلك ولا إثم فى ذلك الطلب، وقد تمنى الخليل إبراهيم عليه السلام أن يكون مع الصالح بمنأى عن المجرمين والظالمين فقال القرآن على لسانه ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ۖ وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ۖ﴾ ﴿٨٤﴾ وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ ﴿٤﴾

(١) ذاته.

(٢) ذاته.

(٣) ذاته والحديث متفق عليه - وهذا اللفظ رواية البخارى.

(٤) سورة الشعراء آية رقم (٨٥).

وقال تعالى في سورة الصافات ﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشِّرْنَهُ
بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ ﴾^(١).

وقد تمنى إبراهيم - عليه السلام - ذرية صالحة، فاستجاب الله له فوهبه غلاماً وأخبر عنه أنه سيكون حليماً، وأنه سيبلغ الحلم، ولقد كان ذلك الغلام أسوة حسنة للشباب المسلم في الصبر وطاعة الوالدين. ولقد علّم عمرو بن ميمون الأودى طلبه للموت فقال إنه كان لا يتمنى الموت حتى أرسل له «يزيد بن أبي مسلم» فتعنته، ولقى منه شدة وقساوة، ولم يكد أن يدعه ثم تركه بعد ذلك وكان يقول: «أتمنى الموت، اللهم ألحقني بالأبرار، ولا تخلقني مع الأشرار، واسقني من خير الأنهار^(٢)».

وأعتقد أنه يريد «بخير الأنهار» نهر الكوثر» الذي يقول فيه الحق سبحانه ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرِ ﴿٢﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴿٣﴾ ﴾ (الكوثر: ١ - ٣).

وكان «عمرو بن ميمون» إذا دخل المسجد ذكر الله عز وجل ويقول أيضاً - رحمه الله - المساجد بيوت الله، وحق على المزور أن يكرم زائره، وعن عمرو بن ميمون أنه قال: «لم تعجل موسى - عليه السلام - إلى ربه رأى رجلا فى ظل العرش فغبطه بمكانه، وقال: «إن هذا لكريم على ربه - عز وجل - فسأل ربه أن يخبره باسمه، فأخبره فقال: «لكن سأنبئك من عمله» يعنى سأخبرك بالفائدة المرجوة، وأنه كيف وصل إلى

(١) سورة الصافات الآية رقم (١٠٠، ١٠١).

(٢) الحلية ج ٤ ص ١٤٨ بتصرف.

هذه المكانة، ونال تلك الرتبة، واستحق ذلك الوسام الرفيع من الله عز وجل - ثم قال له: «السِّرُّ الَّذِي أَوْصَلَهُ إِلَى هَذَا الْمَقَامِ هُوَ أَنَّهُ كَانَ لَا يَحْسَدُ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ، وَلَا يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ، وَلَا يَعْقُ وَالِدِيهِ، كَمَا كَانَ «لِعَمْرِ بْنِ مَيْمُونٍ» رَأَى فِي التَّفْسِيرِ فَقَالَ فِي قَوْلِ الْحَقِّ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾ (الفتح: ٢٦) يقول «ابن ميمون» المراد بكلمة التقوى التي أُلزِمهم بها هي «لا إله إلا الله» ويقول أيضاً: «ما تكلم الناس بشيء أعظم من لا إله إلا الله».

فحين سمعها «سعيد بن عياض» قال «تدرى ما هي؟.. هي والله الكلمة التي أُلزِمها «محمدًا وأصحابه»، وكانوا أحق بها وأهلها، أى كانوا أحق بها، وكانوا أيضاً أهلاً لها، وأهلاً للقيام بمتطلباتها من صلاة، وصوم، وطاعة، وزهد، وورع، وخوف من الله - عز وجل - فتجافى جنوبهم عن المضاجع خوفاً من عذابه، وطمعا فى رحمته ﴿تَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ (١٦) (السجدة: ١٦) ويقول فى قوله سبحانه وتعالى ﴿حُرِّمَتْ مَقْصُورَاتُ الْبَيْتِ﴾ (الرحمن: ٧٢)، أى خيمة من لؤلؤ واحدة قصورها وأبوابها منها^(١).

وقول تعالى ﴿وَطَلَّ مَمْدُودٌ﴾ (٣٠) (الواقعة: ٣٠) قال الظل الممدود مسيرة سبعين ألف سنة، وفى رأينا ليبتس المسألة بالتعداد، وغنما هو إخبار للمؤمنين، وعطاء للموحدين بأنه لا حدود، ولا مسافات، ولا حظر على عطاء الله - عز وجل - لعباده الذين يخشونه بالغيب، ويؤمنون به

(١) الحلية ج ٤ ص ١٤٩ بتصرف.

ولا يشركون به شيئاً، وزهدوا فى الدنيا، وأقبلوا على الله بإيمان راسخ، وقلوب مطمئنة، وأفئدة تبلها الوجد والغرام، والحب والعشق لات الله - عز وجل - والتمسك بسنة نبينا، وقدوتنا - سيدنا محمد ﷺ ومن حكمه العوالى، وكلماته العوالى قوله: «ما يسرنى أن أمرى يوم القيامة إلى أبوى» فإن أبواه لا يغنيان عنه من الله شيئاً، أما الله عز وجل فهو الرحيم بعباده، الغفار لذنوبهم، الذى يدخلهم جنات عرضها السماوات والأرض، وكان «عمرو بن ميمون» رحمه الله قد كبرت سنه، وشق عليه تحمل العبادة، وسهر الليل فى التضرع إلى الله فوضع وتدًا فى الحائط حتى إذا سئم وتعب من طول القيام استمسك به، أو يربط حبلًا فيتعلق به، وكان يقول مناجياً ربه: «اللهم إنى أسألك السلام والإسلام، والأمن والإيمان، والهدى واليقين والأجر فى الآخرة والأولى^(١)».

ومن حكمه أيضاً قوله «ثلاثة ارفضوهن ولا تتكلموا فيهن النذور والنجوم، وعلى وعثمان^(٢)»..

وقد حدث «عمرو بن ميمون» عن عمر، وعلى وابن مسعود، ومعاذ ابن جبل وأبى هريرة، وأبى أيوب الأنصارى، وطائفة غيرهم - رضى الله عنهم أجمعين.

كما روى عنه الشعبى، وأبى إسحاق، وحصين بن عبد الرحمن، وعبيدة بن أبى لبابة، ومحمد بن سوقه، وسعيدة بن جبير وآخرون^(٣).

(١) الحلية ج ٤ ص ١٥٠ بتصرف.

(٢) الحلية ج ٤ ص

(٣) السيرة ج ٥ ص ١٧٣.

وعن «عمرو بن ميمون» أنه قال : «شهدت عمر بن الخطاب» غداة طعن فكنت في الصف الثاني وما معنى أن أكون في الصف الأول إلا هيئته ، وكان يستقبل الصف الأول إذا أقيمت الصلاة ، فإن رأى إنسانا متقدماً أو متأخرا أصابه بالدرة ، فذلك الذى معنى أن أكون فى الصف الأول فكنت فى الصف الثانى ، فجاء «عمر» يريد الصلاة ، فعرض له «أبو لؤلؤة» فناجاه غير بعيد ثم تركه ، ثم ناجاه ثم تركه ، ثم ناجاه ثم تركه ثم طعنه^(١).

وعن «عمرو بن ميمون» عن «عمر بن الخطاب» - رضى الله عنه - أنه قال : إن رسول الله ﷺ قال : «ما ساء عمل قوم إلا زخرفوا مساجدهم»^(٢).

وعنه - أيضاً - عن عبد الله بن مسعود قال : كان النبى ﷺ إذا دعا ، دعا ثلاثاً ، يعنى يكرر الدعاء ثلاث مرات ، وإذا سأل سأل ثلاثاً^(٣) وعنه عن عبد الله بن مسعود عن النبى ﷺ - أنه قال فى قوله تعالى ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ﴾ (إبراهيم: ٤٨) ، قال تبدل بأرض بيضاء كأنها فضة لم يسفك فيها دم حرام ، ولم يعمل فيها خطيئة.

وعنه عن أبى هريرة قال قال النبى ﷺ : «من سره أن يجد طعم الإيمان فليحب المرء لا يحبه إلا لله».

(١) الحلية ذاته ص ١٥١ .

(٢) ذاته ص ١٥٢ .

(٣) ذاته ص ١٥٢ .

وعنه عن أبي أيوب الأنصاري قال: قال رسول الله ﷺ: «قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن»^(١).

وتوفى - رحمه الله - بعد حياة زاخرة بالإيمان، عامرة بالصلاح حافلة بالعبادة والزهد، والورع والتقوى مما يؤهله لأن يكون قدوة حسنة لشبابنا المسلم وخاصة في هذا العصر الذي يموج بالتيارات والفتن حيث كانت وفاته سنة خمس وسبعين للهجرة وقيل سنة ست وسبعين وقال أبو نعيم وغيره سنة أربع وسبعين^(٢) رحمه الله رحمة واسعة.



(١) ذاته ص ١٥٤.

(٢) السير ج ٥ ص ١٧٤.

عمرو بن عتبة

ومن جملة التابعين المجاب المستشهد، والزاهد الورع «عمرو بن عتبة بن فرقد بن يربوع بن حبيب بن مالك بن أسعد بن رفاعة السلمى» وعتبة بن فرقد يكنى «أبو عبد الله» ويقول ابن سعد «يربوع» هو «فرقد» و«عتبة بن فرقد» والد «التابعى» «عمرو» وهو يعنى «عتبة بن فرقد صحابى جليل»، صحب رسول الله ﷺ، كما كان من المجاهدين البواسل حيث فتح «الموصل» بالعراق سنة ثمانى عشرة مع «عياض بن غنم» وأسس «الموصل» داراً ومسجداً، وغزا مع رسول الله ﷺ غزوتين، وشهد «خيبر» وكان - رضى الله عنه - جواداً، كريماً، حيث قسم له النبى ﷺ فى «خيبر» وأعطاه نصيباً من غنائمها وكان «عتبة بن فرقد» يعطيه لبنى أخواله عاماً، ولبنى أعمامه عاماً، كما فتح - رضى الله عنه - «أذربيجان» والتي تقع الآن فى «روسيا» والتي دخلها الإسلام مبكراً، فى عهد الخليفة الراشد «عمر بن الخطاب» رضى الله عنه^(١).

وقد رأينا أن والد التابعى الجليل «عمرو بن عتبة» هو الصحابى الجليل «عتبة بن فرقد» فلا غرو، ولا عجب فى أن يجيبىء الابن شبيهاً لأبيه فى الزهادة، والورع، والتقوى، والجهاد فى سبيل الله، وكما يقول

(١) الحلية جـ ٤ ص ١٥٥، الاستيعاب / لابن عبد البر جـ ٣ ص ١٠٢٩، أسد الغابة جـ ٣ ص ٤٦٢ - الطبقات الكبرى / لابن سعد جـ ١ ص ٢٨٥، الإصابة جـ ٤ ص ٣٦٤، تجريد الأسماء الصحابة / للذهبي جـ ١ ص ٣٧١ والثقات للبستى جـ ٣ ص ٢٩٧، تهذيب التهذيب جـ ٧ ص ١٠١.

المثل العربي «العصا من العصية» ويقول: وهل تغرس إلا في منابتها النخل، والشيء من معدنه لا يستغرب وهذا الشبل من ذاك الأسد أي والله إنه الأسد في التقوى، وخشية الله عز وجل، والعمل على مرضاته أجل إنها البيئة الدينية والتي لعبت دوراً أساسياً في تكوين شخصية «عمرو بن عتبة» حيث إن البيئة تلعب دوراً مهماً في تكوين شخصية الطفل المسلم، وذلك من منظور إسلامي حيث يقول النبي ﷺ «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه إما يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه» يعنى بفعل البيئة التي نشأ فيها الطفل فمن الممكن أن ينشأ نصرانياً، أو يهودياً أو مجوسياً، قال تعالى ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا يَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكُمْ الْقَائِمُ وَلَئِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (الروم: ٣٠).

كان عمرو بن عتبة - رحمه الله مظلماً محروساً، وبالبلاء مكللاً ممسوساً، ويروى لنا «إبراهيم بن علقمة» فيقول خرجنا ومعنا مسروق وعمرو بن عتبة، ومعضد غازين فلما بلغنا «ماسبدان» بفتح السين والباء والذال، وهو اسم مكان كما ورد في معجم «ياقوت الحموي» وقيل اسمها «ماسيدان» و «ماسهدان»^(١)، وكان أمير هذا البلد الصحابي الجليل «عتبة بن فرقد» فقال لنا ابنه «عمرو بن عتبة» إنكم نزلتم عليه صنع لكم نزلاً، ولعله أن تظلموا فيه أحداً، ولكن شئتم - «قلنا» من القيلولة وهي اللجوء إلى الظل من حرّ الشمس - قلنا في ظل هذه الشجرة وأكلنا من خبزنا الذي معنا، ثم رجعنا ففعلها، فلما قدمنا الأرض قطع «عمرو بن

(١) معجم البلدان / لياقوت الحموي.

عتبة» جبة بيضاء فلبسها ثم قال «والله إن تحدر لى الدم» يعنى إن تلتخ هذا الثوب الأبيض بالدم فى سبيل الله لثىء حسن أشربه، وأفرح، ثم رمى، فرأيت الدم يسيل على المكان الذى وضع يده عليه من جسمه فمات^(١).

وفى رواية أخرى: «إنه لبس جبة بيضاء جديدة ثم قال: «ما أحسن الدم يتحدر على هذه، ثم أصابه حجر نشجّه فتحدّر الدم وسال عليها فمات بسبب هذه الإصابة وقمنا بدفنه - رحمه الله - .

ومن حكمه السامية، وكلماته الغالية قوله: «سألت الله ثلاثاً فأعطاني اثنين، وأنا أنتظر الثالثة».

أولاً: سألته أن يزهدنى فى الدنيا، فما أبالى ما أقبل منها وما أدبر.

ثانياً: سألته أن يقوينى على الصلاة فرزقنى منها.

ثالثاً: وسألته الشهادة فى سبيله فأنا أرجوها^(٢).

ويروى عنه - ابن عمه فيقول نزلنا فى مرج حسن والمرج «الأرض العشبة المخضرة» فقال «عمرو بن عتبة» ما أحسن هذا المرج؟». ما أحسن الآن أن منادياً نادى: يا خيل الله اركبى، فخرج فنادى منادى الجهاد فخرج «عروة بن عتبة» لينال ما تمناه حيث أصيب، ثم جيىء به فدفن فى هذا المرج فما كان بأسرع من أن نادى منادٍ يا خيل الله اركبى، فخرج «عمرو بن عتبة» فى سرعان الناس فى أول من خرج، فأتى «عتبة» فأخبر بذلك فقال: «على عمرا، فأرسل فى طلبه فما أدرك حتى

(١) الحلية / ج ٤ ص ١٥٥ بتصريف.

(٢) ذاته ص ١٥٥ وما بعدها.

أصيب، قال فما رآه دفن إلا قى مركزَ رمحه، و عتبة يومئذ أميرا على الناس.

ويروى أنه أصيب بجرح فنظر إليه فقال والله إنك لصغير وإن الله تعالى ليبارك في الصغير، دعوتى فى مكاتى هذا حتى أمسى فإن أنا عشت فارفعونى ثم مات فى مكانه ذلك.

وعن عبد الله بن ربيعة قال: قال: «عتبة بن فرقد» لعبد الله يا «عبد الله» ألا تعيننى على ابن أخيك، يعينتى على ما أنا فيه من عمل، فقال «عبد الله» يا عمر أطلع أباك، قال فنظر إلى «معضد» وهو جالس وتظرتة توحى بأنه يريد أن يقول «لمعضد» ما رأيك فى هذا القول الذى سمعته؟ ولكن «معضدًا» أجابه بقوله: ﴿لَا تُطَعُّ وَأَسْجُدْ وَأَقْرَبْ﴾ (العلق: ١٩) ثم قال «عمرو بن عتبة» لأبيه يا أبتى إنما أنا عبد أعمل فى فكاك رقبتى فدعنى أعمل فى فكاك رقبتى، فىكى «عتبة بن فرقد» ثم قال لابنه «عمرو بن عتبة» يا بنى إنى أحبك حبين، حبًا لله، وحب الوالد لولده، فقال له ابنه «عمرو» يا أبتى إنك قد كنت أتيتنى بمال قد بلغ سبعين ألفًا، فإن كنت سائلى عنه فهو ذا فخذ، وإلا فدعنى فأمضيه يعنى أنفقه فى سبيل الله فقال له «عتبة» يا بنى فأمضه يعنى أنفقه فأنفقها «عمرو بن عتبة» كلها ولم يبق منها درهمًا واحدًا، أرايت كيف أعان الوالد ولده على الطاعة وعوده البذل، والسخاء، والجود والكرم أرايت الديمقراطية الحققة والتربية الإسلامية السليمة، والوضوح فى الكلام، وسلامة النية، وخلوها من الغش والكدر، واللف والدوران، والحذر حيث

قال: «عمرو» لأبيه هاهو ذا المال أمامك إن شئت أخذته، وإلا فدعني أتصرف فيه وأنفقه في وجوه الخير.

ولما أن كان الوالد «عتبة بن فرقد» واثقًا من التصرف السليم لابنه وأنه سيضع المال في موضعه، والأمور في نصابها، وأن تصرفه سيكون في الله، والله، وباسم الله.

وتحقق ظن الوالد في ولده حيث أمضى المال جميعه وأنفقه في سبيل الله هكذا تكون تربيته نحن المسلمين لأبنائنا تربية إسلامية مبنية على الخلق والدين، والحوار الهادف. ويروى أن «عمرو بن عتبة» اشترى فرسًا بأربعة آلاف درهم فعنفوه ولاموه، وعدوا ذلك ترفًا وبذخًا فقال لهم «عمرو بن عتبة»: «ما من خطوة يخطوها، يتقدمها إلى عدو إلا وهي أحب إلي من أربعة آلاف درهم»، فشراء الفرس بهذا الثمن الباهظ من وجهة نظر المعنفين له واللوام ثمن زهيد ودرهم معدودة بالنسبة لما ينتظره من الفرس من كَرٍ وفرٍ وإقبال وإدبار في سبيل الله.

وبلغ من الزهد أنه كان له في كل يوم رغيفان يتسخر بأحدهما ويقطر بالآخر^(١).

وكان من كراماته - رحمه الله - أن الغمام كان يظلمه حيث كان يشترط على أصحابه أن يكون خادمهم، فخرج من الرعي في يوم شديد الحرارة فأتى بعض أصحابه فإذا هو الغمامة تظله

(١) ذاته ص ١٥٧.

من الحر وهو قائم فقال أبشريا عمرو، فأخذ عليه «أى على صاحبه الذى رآه مظلاً بالغمامة أخذ عليه عهداً ألا يخبر بذلك أحداً». ومن كراماته - رحمه الله - أنه كان يصلى والسبع حوله يضرب بذنبه يحميه، أريت الرجال الذين خافوا الله فأخاف الله منهم كل شىء.

يقول رسول الله ﷺ: «من خاف الله أخاف الله منه كل شىء ومن لم يخف الله أخافه الله» فهؤلاء النفر رحمهم الله جميعاً اتقوا الله وخافوه فأخاف الله منهم كل شىء، وقذف الرعب فى قلوب أعدائهم، ولما أن خفنا الناس أخافنا الله منهم، وقذف الرعب فى قلوبنا بدلا منهم.

وعن الحسن بن عمرو الفزارى أنه قال: «حدثنى مولى لعمرو بن عتبة» فقال: «استيقظنا يوماً حاراً فى ساعة حارة، فطلبنا، عمرو بن عتبة» يعنى بحثنا عنه فوجدناه فى جبل وهو ساجد وغمامة تظله، وكنا نخرج العدو فلا يحرس بعضنا بعضاً لكثرة صلاته، وما دام يصلى فهو ساهر الليل فلا يحتاجون إلى حراسة لاعتمادهم عليه فى سهره مصلياً، راکعاً، ساجداً، ورأيت له ليلة يصلى فسمعنا زئير مثل زئير الأسد فهربنا وهو قائم يصلى لم ينصرف قلنا له: «أما خفت من الأسد؟»، فقال: «عمرو بن عتبة» لأصحابه الفارين خوفاً من الأسد إنى لأستحيى من الله أن أخاف شيئاً سواه^(١).

(١) ذاته ص ١٥٧.

فانظر إلى هذا الحياء، إنه حياء خاص بالخواص من أمثال التابعي الجليل، «عمرو بن عتبة بن فرقد» حيث إنه من الواجب على المسلم ألا يخشى أحدا إلا الله فهو حقيق بالخشية، وقمين بالمهابة، فهو الخلاق، الرزاق، القهار ذو القوة المتين، وبيده الحياة والنشور، وبمشيئة المحو والإثبات، والحياة والموت، والجنة والنار، فهو الله عز وجل -الأحق بالخشية والعبادة سبحانه وتعالى وكان «عمرو بن عتبة» يسوق ركاب أصحابه وغمامة تظله وتلك كرامة، وتكريم له من الله عز وجل.

ولما توفى «عمرو بن عتبة» دخل بعض أصحابه على أخته قال أخبرينا عنه فقالت: قام «عمرو بن عتبة» ذات ليلة فاستفتح وقرأ سورة «حَمَّ» لما وصل إلى قوله تعالى ﴿ وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْأَرْزَاقِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَظِيمِينَ ﴾ (١٨) غافر: ١٨) فما جاوز ولا تخطى هذه الآية حتى أصبح، لماذا؟.. إنه الخوف الحقيقي من البعث والدار الآخرة. وملاقاة الله - عز وجل - وخاصة القبر، وهو أول منازل الآخرة.

يروى لنا «سرى السقطي» فيقول: اجتزت يوماً بالمقابر فإذا أنا ببهلول قد دلى رجله في قبر وهو يلعب بالتراب، فقلت أنت ها هنا؟.. قال: «نعم» أنا عند قومي لا يؤذونني، وإن غبت عنهم لا يغتابونني، فقلت يا بهلول الخبز قد غلا، فقال: والله ما أبالي ولو حبة بمثقال: إن علينا أن نعبده كما أمرنا، وأن يرزقنا، كما وعدنا، ثم ولى عنى وهو يقول:

يا من تمتع بالدنيا وزينتها ولا تنام عن اللذات عيناه

أفنيتم عمرك فيما لست تدركه تقول لله ماذا حين تلقاه^(١)

(١) صفة الصفة لابن الجوزي ج ١ ص ٥٧٢.

وكان «عمرو بن عتبة» - رحمه الله - على فرسه ليلاً فوقف على القبور فقال يا أهل القبور قد طويت الصحف، وقد رفعت الأعمال ثم يبكي ويهتز جسمه، وتضطرب أعضاؤه حتى يطلع الصباح فيشهد صلاة الصبح^(١).

ويقول الشيخ - رحمه الله - «عمرو بن عتبة» من كبار تابعي أهل الكوفة، مشهود بالتعبّد والزهد، شغلته العبادة عن الرواية ولذلك نرى القاضي «أحمد أبو العسال» في تاريخه يذكره قائلاً إنه لا يعرف له مسنداً، وذلك دليل على أن التابعي الجليل «عمرو بن عتبة بن فرقد» - رحمه الله - انصرف إلى العبادة بكلية وتفرد لها، وزهد في الدنيا فشغل بالعبادة، والزهد، والورع، والتقوى، عن الرواية والإسناد حتى لقي ربه - عز وجل - بعد حياة حافلة بالعبادة، وخشية الله.

وواجب على شبابنا المسلم التأسى، والافتداء بهؤلاء الشباب المسلمين أيضاً من أمثال «عمرو بن عتبة» الذين قضوا حياتهم في سبيل الله عبادة، وعملاً، وإخلاصاً، وطاعة، وجهاداً لرفع رايات التوحيد عالية خفاقة حتى ظلت كثرة كاثرة من البلدان التي دخلها الإسلام تدين لفضل جهاد هؤلاء الأبطال أليس والده هو الذي فتح الموصل، وأذربيجان، كيف؟.. لأنهم كانوا رهباناً بالليل، فرساناً بالنهار.



(١) الحلية ج ٤ ص ١٥٨ بتصرف

العلاء بن زياد

من أجلة التابعين رحمهم الله، المبشر المحزون، الذى تشمّر للمهاد،
وقدم عملاً صالحاً للمعاد، وعاش بمنأى عن العباد، التابعى الزاهد،
«العلاء بن زياد بن مطر بن شريح»، القدوة العابد، ويكنى «أبو النصر
البصرى» وكان رحمه الله ربانياً، تقياً، قانتاً لله، بكاءً من خشية الله
حتى أنه بكى خوفاً من الله - عز وجل - حتى غشى بصره، وكان أبوه
من قبله بكى حتى كف بصره، وكان إذا قرأ أو تكلم أجهش، وارتفع
صوته بالبكاء، وكان قوت «العلاء بن زياد» رغيماً كل يوم، ولم يكن هذا
الزهد من فقر، أو قلة مال إنما كان ورعاً، وزهداً فى الدنيا، ومتاعها
القليل، والنظر إلى الآخرة، ومتاعها الدائم المقيم حيث كان «للعلاء بن
زياد» مال ورقيق فأعتق بعضهم، وباع بعضهم، وتعبّد وبالغ فى العبادة
فكلمه الناس فى ذلك، فقال: «العلاء بن زياد» إنما أتذلل لعله يرحمنى.
ويروى أن رجلاً جاء إلى «العلاء بن زياد» وقال له: «أتانى آت
فى منامى فقال لى: إئت العلاء بن زياد».. فقل له: «لم تبك، قد غفر
لك»، فقال: «العلاء بن زياد» «بعد أن استمر فى البكاء» الآن لا أهدأ
عن العبادة فلم يتكلم على هذه الرؤية التى أخبر بها وهذا دليل على أنه
لم يغتر لهذه الرؤية المنامية التى رآها له غيره وأنبأه بها. حقاً إن هذا

هو الورع بعينه ، وخشية الله - عز وجل - والعمل للدار الآخرة حيث
النعيم المقيم.

يقول تعالى ﴿ أَكُلُّهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا ۖ ﴾ (الرعد: ٣٥) ، أى وظلها
كذلك قال تعالى ﴿ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمَهْرِيرًا ۖ ﴾ (الإنسان: ١٣).

ويروى لنا «سلمة بن سعيد» فيقول: رأى «العلاء بن زياد» أنه من
أهل الجنة، فمكث ثلاثاً لا ترقأ له دمعة، ولا يكتحل جفنه بنوم،
ولا يذوق طعاماً فأتاه الحسن فقال: أى أخى، أتقتل نفسك إن بشرت
بالجنة؟.. فازداد بكاءً، فلم يفارق حتى أمسى، وكان صائماً فطعم
شيئاً^(١).

ويروى لنا «جعفر بن سليمان»، فيقول: «سمعت مالك بن دينار»
وسأل «هشام بن زياد العدوى» فقال: «تجهز رجل من أهل الشام
بالحج، فأتاه آتٍ فى منامه وقال له: «اذهب إلى البصرة وآت».. «العلاء
بن زياد» فإنه رجل «ربعة» لا هو بالطويل ولا بالقصير، أقصم الثانية
بسام فبشره بالجنة، فقال رؤيا ليست بشيء - فأتاه فى الليلة الثانية،
ثم فى الثالثة وجاءه بوعيد فأصبح وتجهز للسفر إلى العراق، فلما خرج
من القرية التى يقيم فيها تاركاً بيوتها، ومنازلها إذا الذى أتاه فى منامه
يسير بين يديه فإذا نزل ففده ولم يره قال فجاء فوقف على باب «العلاء
بن زياد»، فخرجت إليه فقال: «أنت العلاء بن زياد»؟.. قلت:
«لا» انزل رحمك الله، فضع رجلك قال: «لا» أين العلاء بن زياد؟..

(١) سير أعلام النبلاء / للذهبي ج ٥ وما بعدها، وحلية الأولياء ج ٢ ص ٢٤٣ بتصرف.

قلت له إن العلاء بن زياد فى المسجد فجاء العلاء فلما رأى الرجل تبسّم حتى بدت ثنايته، وظهرت واضحة فقال هذا والله هو «العلاء بن زياد» هلاً حططت رحل الرجل، ألا أنزلته!، أى أرحته فى منزل من المنازل فقال له!، قلت فأبى أن ينزل أو يحط رحله أو يستريح فقال «العلاء بن زياد»: «انزل رحمك الله» قال: «أخْلِنِي» فدخل العلاء منزله وقال: «يا أسماء تحولى» طلب الرجل من العلاء إخلاء المكان ممن يوجد فيه حتى يستريح مطمئناً فأمر العلاء أسماء أن تنزل المكان وتتحوّل إلى غيره فدخل الرجل فبشره برؤياه، ثم خرج فركب مغادراً المكان وأغلق «العلاء بن زياد» بابه، وبكى ثلاثة أيام وقيل سبعة أيام ومكث لا يذوق فى هذه الأيام طعاماً ولا شراباً وسمعته: يقول أنت وبكائه «أنا، أنا».. وهذا دليل على تواضعه، وخوفه من الله - عز وجل - وعدم اغتراره بعبادته وحسن صلته بخالقه وتلك شيمة العباد وسجية الزهاد، وطبيعة أهل الورع والتقوى.

كما أنه بعد عن الرياء حتى تكون العبادة خالصة لله - عز وجل - لا تخالطها ريبة، ولا يداخلها الشك، وكان الناس يهابون فتح بابه حتى خشى الناس أن يموت «العلاء» ولم يره أحد، وذكروا ذلك «للحسن» - رحمه الله - فجاء الحسن ودقّ عليه بابه ففتح الباب وبه من الضر شيء الله به عليهم ثم كلمه الحسن فقال: «ومن أهل الجنة إن شاء الله» أفقاتل نفسك أنت؟.

وطلب «العلاء» من «الحسن» وغيره عدم ذكر الرؤيا لأحد وقال لهم: «لا تحدثوا بها ما كنت حياً»^(١).

(١) حلية الأولياء، ج ٢، ص ٢٤٥ وسير أعلام النبلاء / للذهبي ج ٥، ص ٢٠٥ وما بعدها.

وكان - رحمه الله - يصوم حتى يربدَّ وجهه ويخضر ويتغير لونه ،
ويصلى حتى يسقط على الأرض من الإعياء والتعب ، حتى دخل عليه ،
«أنس والحسن» فقالا له : «إن الله لم يأمرك بهذا كله»^(١).

وعن «حميد بن هلال» : قال : «دخلت مع الحسن على «العلاء
ابن زياد» وقد أسلَّه وانحل جسمه وأضناه الحزن والخوف من الدار
الآخرة ، وكانت له أخت تندف عليه القطن غدوة وعشيا فقال أى الحسن
كيف أنت يا علاء قال «العلاء بن زياد» : «واحزنناه على الحزن»^(٢) ،
يعنى يا حزنه ويا أسفاه ، واحزنناه على حزنى وخوفى من الدار
الآخرة وهل أنا من الذين تجاوز الله عنهم ، وغفر لهم أم لا تلك أمانيه
وهى النجاة من عرصات القيامة ، والفوز برضوان الله ، وجنات فيها
نعيم مقيم .

ويروى لنا «حميد بن هلال» عن «العلاء بن زياد» قال : «رأيت الناس
فى النوم يتبعون شيئاً فتبعته ، فإذا عجوز كبيرة هتماء يعنى تكسرت
ثناياها من أصلها ، عوراء ، عليها من كل حلية وزينة فقلت من أنت؟ ..
قالت : «أنا الدنيا» قلت : «أسأل الله أن يبغضك إلى يعنى يغرس فى
قلبي كراهيتك وتعدم محبتك ، والجرى وراء بهرجك الكاذب ، وزخرفك
الخداع) ﴿ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى ﴾ (٤) ﴿ وَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ﴾ (٥) ﴿
(الضحى : ٤ - ٥) قالت : «نعم» إن أبغضت الدراهم»^(٣).

(١) الحلية جـ ٢ ص ٢٤٣ .

(٢) ذاته جـ ٢ ص ٢٤٦ .

(٣) الحلية جـ ٢ ص ٢٤٣ وما بعدها .

يعنى أرادت أن تقول «للعلاء بن زياد» إن كرهت الدراهم والجري وراء المال، وتحقيق الغنى الفاحش، الثروات الطائلة، كرهت الدنيا، أما إذا أحببت المال، واستمكنت المادة من قلبك وملكت عليك أقطارك فإنك لا تكره الدنيا بل تحبها حباً جماً، وحتى لا يكون من الذين قال الله فيهم: ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبَّ جَمًّا﴾ (الفجر: ٢٠)، وكان - رحمه الله - يقوم الليل وكان يحيى ليلة الجمعة فنام ليلة جمعة لم يحييها بالعبادة فأتاه من أخذ بناصيته وقال له: قم يا ابن زياد فاذا ذكر الله يذكرك، فقام «العلاء بن زياد» فمازالت تلك الشعرات التي أخذها منه قائمة حتى مات^(١).

وكان «العلاء بن زياد» - رحمه الله - لا يجالس أحدًا من الناس بغية الانقطاع لعبادة الله، والبعد عن ضوضاء الناس، ولغو حديثهم وفضوا كلامهم، وكان يصلى فى الجماعة ثم يعود إلى أهله، ويعود المريض، ثم يرجع إلى أهله، فهو يعتزل الناس حتى لا يتورط معهم فى الذلات والأخطاء، ولكنه لا ينسى العمل الصالح من حضور الجماعة فى الصلاة وعبادة المريض.

ومن حكمه العوالى، وكلماته الغوالى قوله: «لا تتبع بصرك رداء المرأة فإن النظر يجعل فى القلب شهوة»^(٢).

وكان يقول أيضاً: «لينزل أحدكم نفسه أنه قد حضره الموت فاستقال ربّه تعالى فأقاله، فليعمل بطاعة الله عز وجل». ويروى لنا هشام بن حسان

(١) ذاته ص ٢٤٤.

(٢) الحلية ج ٢ ص ٢٤٤.

فيقول: «كنت أمشي خلف «العلاء بن زياد» العدوى فكنت أتوقى الطين فدفعه إنسان فوقعت رجله فى الطين فخاضه ، فلما وصل إلى الباب وقف فقال: « يا هشام قلت نعم ، قال العلاء: كذلك المرء المسلم يتوقى الذنوب فإذا وقع فيها خاضها»^(١). وقال له رجل : «رأيت كأنك فى الجنة فقال له العلاء ويحك أما وجد الشيطان أحدًا يسخر به غيرى وغيرك»^(٢).

وكان يقول - رحمه الله - إنما نحن قوم وضعنا أنفسنا فى النار إن شاء الله أن يخرجنا منها أخرجنا ، وسأله رجل فقال له : إذا صليت وحدى لم أعقل صلاتى ، فقال له العلاء «أبشر فإن هذا علم الخير أما رأيت اللصوص إذا مروا بالبيت الخرب لم يلووا عليه وإذا مروا بالبيت الذى رأوا فيه المتاع زاولوه حتى يصيبوا منها شيئاً»^(٣).

فقد ضرب له هذا المثال حيث إن إبليس يتابع ويوسوس للطائعين أما العصاة فإنه يتركهم لأنه استراح بهم واطمأن لعصيانهم ، وقد شبه المصلى الذى يوسوس إليه الشيطان بالبيت العامر فإن اللصوص يرصدونه ، ويتربصونه ويتابعونه ليناول منه شيئاً أما البيت الخرب الذى لا يحوى متاعاً ، ولا يضم مالا فإن اللصوص لا ينظرون إليه ، ولا يجعلونه نصب أعينهم لأنه لا فائدة من وراء دخوله ، أو الهجوم عليه حيث لا فائدة مرجوة منه . وكان يقول - رحمه الله - : «إنكم فى زمان أقلكم الذى ذهب عشر دينه ، وسيأتى عليكم زمان أقلكم الذى يبقى عليه عشر دينه».

(١) ذاته ص ٢٤٤ ، ٢٤٥ .

(٢) ذاته .

(٣) الحلية ج ٢ ص ٢٤٥ .

وحدَّث «العلاء بن زياد» عن عمران بن حصين، وعياض بن حمار وأبى هريرة، ومطرف بن الشخير وغيرهم، كما روى عنه «الحسن، والختعمي، وقتاد، وقطر الوراق، وأوفى بن دلهم وإسحاق بن سويد وآخرون»..

ولحق بالرفيق الأعلى - رحمه الله - بعد حياة حافلة بالزهد والورع والتقوى في آخر ولاية الحجاج بن يوسف الثقفي سنة أربع وتسعين. ومن بين الأحاديث التي رواها أن رسول الله ﷺ قال: «إن الشيطان ذئب الإنسان كذئب الغنم، يأخذ الشاة الشاة والقاصية والناحية فإياكم والشعاب وعليكم بالجماعة والعامّة».

وقول رسول الله «الجنة لبنة من ذهب، ولبنة من فضة»، وقد رواه أيضاً أحمد في المستدج ٣ حديث رقم ٥٥٥، ومن الأحاديث المروية قول رسول الله عليه السلام «ما من دعوة أحب إلى الله تعالى أن يدعو بها أحد بأن يقول: «أسأل الله العفو والمعافة والعافية في الدنيا والآخرة».



زين العابدين

هو التابعى الجليل، سليل بيت النبوة «على بن الحسين بن على ابن أبى طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف» «السيد الإمام» زين العابدين، الهاشمى، العلوى، المدنى يكنى «أبا الحسين» ويقول «أبو الحسن»، ويقال «أبو محمد»، ويقال «أبو عبد الله»، وأمه وأم ولد اسمها «سلافة» وهى سلافة بنت ملك الفرس «يزدجرد» وقيل «غزاة». كان - رحمه الله - من القانتين لله عز وجل عابدا وفتيا، جوادا، حفتيا، وقيل: إن التصوف هو «حفظ الوفاء، وترك الجفاء»، ويلقب بـ «زين العابدين»، وزين العباد، وذلك لكثرة عبادته، وزهده، وورعه، وتقواه، فكان - رحمه الله - إذا فرغ من وضوئه للصلاة وصار بين وضوئه وصلاته أخذته رعدة شديدة، ولما سئل عن ذلك قال: «ويحكم أتدرون إلى من أقوم؟.. ومن أريد أن أناجى؟.. إنها وقفة بين يدى الله - عز وجل-.

وقال لابنه يوما: «يا بنى لو اتخذت لى ثوبا للغائط حيث إننى رأيت الذباب يقع على الشىء، ويريد أنه يقع على القاذورات ثم يقع على، ثم انتبه - رحمه الله - فقال: «فما كان لرسول الله ﷺ إلا ثوب واحد، فرفض اقتناء ثوبين تأسيسا، واقتداء برسول الله ﷺ وأصحابه ورعا وزهدا فى الدنيا، كما كانت الرأفة والرحمة تملأ قلبه فكان - رحمه الله - لا يضرب بعيره من المدينة إلى مكة تلك هى الرأفة بالحيوان.

ومن كلماته الغوالى، وحكمه العوالى قوله: «إن الجسد إذا لم يمرض أشر، ولا خير فى جسد يأشر»، «فقد الأحبة غربة»، وكان يقول: «إن قوما عبدوا الله رهبة فتلك عبادة العبيد، وآخريين عبدوه رغبة فتلك عبادة التجار، وقوما عبدوا الله شكرا فتلك عبادة الأحرار».

ويروى لنا «أبوحمزة الثملى» فيقول أتيت باب على بن الحسين فكرهت أن أقرع الباب فقعدت أمام الباب حتى خرج «على بن الحسين» - رحمه الله - فسلمت عليه، ودعوت له، فرد على السلام، ودعا لى، ثم انتهى إلى حائط له «يعنى بستان» ثم قال لى: «يا أبا حمزة: ترى هذا البستان؟ قلت: «بلى يا ابن رسول الله ﷺ».

قال زين العابدين: «فإنى اتكأت عليه يوما، وأنا حزين فإذا رجل حسن الوجه، حسن الثياب ينظر فى تجاه وجهى ثم قال لى: «يا على ابن الحسين مالى أراك كثيبا حزينا؟.. أعلى الدنيا، فهو رزق حاضر يأكل منه البر والفاجر فقلت: «ما عليها أحزن لأن الأمر كما تقول، فقال: «أعلى الآخرة؟».

فالأخرة وعد صادق، يحكم فيها ملك قاهر، قلت: «ما على هذا لأن الأمر كما تقول، فقال إذا فما حزنك يا ابن الحسين؟».

قلت: ما أتخوف من فتنه «عبد الله بن الزبير» فقال لى: «يا على هل رأيت أحدا سأل الله فلم يعطه؟».. قلت: «لا».. ثم قال: «فخاف الله» فلم يكفه، قلت: «لا».

ثم غاب عنى فقيل لى: «يا على هذا هو الخضر - عليه السلام -
ناجك»^(١).

وعن ابن شهاب الزهرى، أنه قال: «شهدت على بن الحسين يوم
حملة «عبد الملك بن مروان» من المدينة إلى الشام، فأثقله حديدا، ووكل
به حفاظا فى عدة وجمع، فأستأذنتهم فى التسليم عليه، والتوديع له،
فأذنوا لى، فدخلت عليه، وهو فى قبة والقيود فى رجليه، والغل فى
يديه، فبكيت، وقلت: «وددت إنى مكانك وأنت سالم معافى، فقال
لى: يا زهرى أتظن أن هذا مما ترى على، وفى عنقى يزعجنى أو يجعلنى
فى كربة وشدة وضيق، أما لو شئت ما كان فذلك يذكرنى بعذاب الله،
وهنا تظهر كرامة آل البيت - رضى الله عنهم أجمعين - حيث أخرج:
«زين العابدين» يديه ورجليه من القيود الحديدية»^(٢).

وكانت شرطة «عبد الملك بن مروان» تبحث عنه فى المدينة كلها
فلا تجده، ولا تعثر عليه حيث كانوا يرصدونه، ولا ينامون ثم يذهبون
إلى محمله، ومكان نومه فلا يجدون إلا القيود الحديدية، ولا غرو،
ولا عجب فهو سليل بيت النبوة، وزين العابدين، وجد خير العباد.

وكان «الزهرى» إذا ذكر «زين العابدين» بكى وقال: «هو زين العابدين
لله» - عز وجل - ، ومن الحكم التى جرت على لسانه - رحمه الله -
يروىها لنا: «أبو حمزة الثملى» فيقول: «سمعت على بن الحسين يقول:
«من قنع بما قسم الله له فهو من أغنى الناس».

(١) ذاته ص ١٣٤.

(٢) ذاته ص ١٣٥ بتصرف.

وكان - رحمه الله - جوادا سخيا، متصدقا فقد كان - رحمه الله تعالى - يحمل جراب الخبز على ظهره بالليل فيتصدق به، ويقول: «إن صدقة السر تطفئ غضب الرب».

ولما مات - رحمه الله تعالى - وجدوه يقوت مائة أهل بيت من بالمدينة، ولما طرح على خشبة الغسل - رحمه الله تعالى - وجدوا في ظهره آثار سوداء فقال مُغسلوه: ما هذا؟..

ف قيل لهم: كان «زين العابدين - رحمه الله تعالى - يحمل جراب الدقيق ليلا على ظهره، يقولون: «ما فقدنا صدقة السر حتى مات» على ابن الحسين .

وقال «علي بن الحسين» أتانى نفر من أهل العراق خاضوا فى أبى بكر وعمر ثم فى عثمان فلما فرغوا.

قال لهم: «ألا تخبرونى؟.. أنتم المهاجرون الأولون الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون»..

فقالوا: لا .

قال: «فأنتم ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْنًا نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ (الحشر: ٩).

قالوا: لا .

قال: أما أنتم فقد بررتم أن تكونوا فى أحد هذين الفريقين، وأنا أشهد أنكم لستم من الذين قال الله عز وجل فيهم ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ

رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٠﴾ (الحشر: ١٠) ، اخرجوا فعل الله بكم !! ..

وكان - رحمه الله تعالى - متواضعا، محبا للعلم، والعلماء فكان يقول: «يا معشر أهل العراق، يا معشر أهل الكوفة، أحبونا حب الإسلام، ولا ترفعونا فوق حقنا».

وكان من تواضعه - رحمه الله تعالى - أنه كان إذا ناول الصدقة للسائل قبله ثم أعطاه الصدقة وذلك عمل جليل، فهو يقبل السائل ليقربه إليه، وليشعره بالأخوة الإسلامية، وأن هذا حقه في مال الله.

والدليل على تواضعه للعلماء أن «نافع بن جبير» قال «لزين العابدين» يوما: «غفر الله لك، أنت سيد الناس وأفضلهم تذهب إلى هذا العبد فتجلس معه ويعنى «زيد بن أسلم».

فقال: «إنه ينبغي للعلم أن يتبع حيثما كان، وكان يتخطى رقاب القوم حتى يأتي.. «زيد بن أسلم» فيأتي عنده، ثم قال: إنما يجلس الرجل إلى من ينفعه في دينه».

وقد سئل «زين العابدين» عن كثرة بكائه فقال: لا تلومنى فإن يعقوب - عليه السلام - فقد سبطا من ولده فبكى حتى ابيضت عيناه ولم يعلم أنه مات، وقد نظرت إلى أربعة عشر رجلا من أهل بيتي في غزاة واحدة أفتررون حزنهم يذهب من قلبي؟.. وهو يريد بذلك الذين قتلوا مع أبيه «الحسين» من ولده وأهل بيته - سلام عليهم أجمعين -.

وعن علي بن الحسين، قال: «إذا كان يوم القيامة ينادى مناد أين أهل الصبر؟.. فيقوم ناس من الناس، فيقال: علام صبرتم؟.. قالوا صبرنا

على طاعة الله وصبرنا على معصية الله عز وجل، فيقال: صدقتم ادخلوا الجنة».

وفى رواية أخرى عن ثابت بن أبي حمزة الثمالي، عن علي بن الحسين، قال: إذا كان يوم القيامة نادى مناد: ليقيم أهل الفضل، فيقوم ناس من الناس: فيقال: انطلقوا إلى الجنة فتتلقاهم الملائكة.

فيقولون: إلى أين؟

قالوا: قبل الحساب.

قالوا: نعم.

قالوا: من أنتم.

قالوا: أهل الفضل.

قالوا: وما كان فضلكم.

قالوا: كنا إذا جهل علينا حلمنا وإذا ظلمنا صبرنا وإذا أسىء علينا غفرنا، قالوا: ادخلوا الجنة فنعم أجر العاملين، ثم ينادى مناد: ليقيم أهل الصبر، فيقوم ناس من الناس، فيقال لهم: انطلقوا إلى الجنة فتتلقاهم الملائكة.

فيقال لهم مثل ذلك، فيقولون: نحن أهل الصبر، قالوا: ما كان صبركم، قالوا: صبرنا أنفسنا على طاعة الله، وصبرناها عن معصية الله عز وجل، قالوا: ادخلوا الجنة فنعم أجر العاملين، ثم ينادى مناد: ليقيم جيران الله في داره، فيقوم ناس من الناس وهم قليل، فيقال لهم: انطلقوا إلى الجنة فتتلقاهم الملائكة، فيقال لهم: مثل ذلك، قالوا: وبما

جاورتم الله في داره، قالوا: كنا نتزاور في الله عز وجل ونتجالس في الله ونتبازل في الله، قالوا: ادخلوا الجنة فنعم أجر العاملين.

ويروى عن أبي حمزة الثمالي، قال: كنت عند علي بن الحسين فإذا عصفير يطرن حوله ويصرخن.

فقال: يا أبا حمزة هل تدري ما يقول هؤلاء العصفير؟.

فقلت: لا.

قال: فإنها تقدر ربها عز وجل، وتسأله قوت يومها.

ويروى لنا «زين العابدين» - رحمه الله تعالى - فيقول: «التارك للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كنا بذ كتاب الله وراء ظهره، إلا أن يتقى تقاة، قيل: وما تقاته، قال: يخاف جباراً عنيداً أن يفرط عليه أو أن يطغى».

وقال علي بن الحسين: «من كتم علماً أحداً، أو أخذ عليه أجراً رفاً، فلا ينفعه أبداً».

ويروى لنا زين العابدين - رحمه الله تعالى - قال: «كان في نقش خاتم أبي، القوة لله جميعاً».

وكان يقول - رحمه الله تعالى - : لا يقولن أحدكم اللهم تصدق علي بالجنة، فإنما يتصدق أصحاب الذنوب، ولكن ليقولن اللهم أرزقني الجنة، اللهم من علي بالجنة.

وكان أبو حازم يقول: «ما رأيت هاشمياً أفضل من علي بن الحسين».

ويروى لنا: حج «هشام بن عبد الملك» قبل أن يلي الخلافة، فاجتهد

أن يستلم الحجر فلم يمكنه ، وجاء على بن الحسين فوقف له الناس وتنحوا حتى استلمه ، قال : ونصب له هشام منبر فقعده عليه فقال له أهل الشام : من هذا يا أمير المؤمنين ، فقال : لا أعرفه ، فقال الفرزدق : لكنى أعرفه هذا على بن الحسين - رضى الله تعالى عنهما - .

هذا ابن خير عباد الله كلهم هذا التقى النقى الطاهر العلم
 هذا الذى تعرف البطحاء وطأته والبيت يعرفه والحل والحرم
 يكاد يمسكه عرفان راحته عند الحطيم إذا ما جاء يستلم
 إذا رأته قريش قال قائلها إلى مكارم هذا ينتهى الكرم
 إن عد أهل التقى كانوا أنعمتهم أوقيل من خير أهل الأرض قيل هم
 هذا ابن فاطمة إن كانت جاهله بجده أنبياء الله قد ختموا
 وليس قولك من هذا؟ بضائره العرب تعرف من أنكرت والعجم
 يغضى حياءً ويغضى من مهابته ولا يكلم إلا حين يبتسم

وكان مولده - رحمه الله - سنة ثمان وثلاثين ، وحدث عن أبيه الحسين الشهيد ، وكان معه فى موقعة «كربلاء» ، وله ثلاث وعشرون سنة ، وكان يومئذ موعوكا فلم يقاتل ، ولم يتعرضوا له ، بل أحضروه مع آله إلى دمشق ، فأكرمه «يزيد بن معاوية» ورده مع آله إلى المدينة .

كما روى عن حفصة أم المؤمنين ، وعن أبى هريرة ، وعائشة ، وعمه الحسن ، وعبد الله بن عباس ، وآخرين ، كما حدث عنه أولاده : «أبو جعفر ، محمد ، عمر ، وزيد المقتول ، وعبد الله . والزهرى ، وعمرو بن دينار ، وزيد بن أسلم ، وأبو حازم الأعرج ، والمنهال ، وابن عمرو وخلق سواهم» ،

كما حدث عنه أبو سلمة وطاووس وهم من طبقته .
 ومن أخلاقه - رضى الله تعالى عنه - أنه لم يستغل قرابته من
 رسول الله ﷺ فيقول: «جويرية بن أسماء»: «ما أكل» على بن الحسين
 بقرابته من رسول الله ﷺ درهما قط، ولأمانته قال: بعث المختار إلى على
 ابن حسين بمائة ألف فكره أن يقبلها وخاف أن يردها فأخذها فاحتبسها
 عنده، فلما قتل المختار كتب على ابن حسين إلى عبد الملك بن مروان:
 «إن المختار بعث إلى بمائة ألف درهم فكرهت أن أردّها وكرهت أن آخذها
 فهي عندي فابعث من يقبضها، فكتب إليه عبد الملك: يا بن عم خذ فقد
 طيبتها لك، فقبلها^(١)».

ومن شدة ورعه وزهده أنه وقع حريق في بيت فيه «على بن الحسين»
 وهو ساجد، فجعلوا يقولون: «يا ابن رسول الله، النار، فما رفع رأسه
 حتى طفئت، فقيل له في ذلك، فقال: «ألهمتني عنها النار الأخرى^(٢)» .
 وحج «على بن الحسين» فلما أحرم أصر، وانتفض ولم يستطع أن يلبي،
 فقيل له: ألا تلبى؟.. فقال: أخشى أن أقول: لبيك، فيقول لى: «لا لبيك» ..
 فلما لبي غشى عليه، وسقط من راحلته، فلم يزل بعض ذلك به حتى قضى
 حجه، وكان يصلى في كل يوم وليلة ألف ركعة إلى أن مات.

وكان يسمى «زين العابدين» لعبادته، وسمعه «طاووس» وهو ساجد
 في الحجر، يقول: عبيدك بفنائك، مسكينك بفنائك، سائلك بفنائك،
 فقيرك بفنائك.

(١) طبقات ابن سعد ج ٥ ، ص ١٦٤ ، وسير أعلام النبلاء / ج ٥ ص ٧٣٤ ، وتذكرة الحفاظ ج ١ ، ص ١٣٥ .

(٢) ذاته ص ٣٣٦ .

قال: فوالله ما دعوت بها من كرب قط إلا كشف عني.
 وكان يقول - رحمه الله تعالى - إن الله تعالى يحب المذنب
 التواب، وكان يخضب بالحناء والكتم وكان له كساء أخضر يلبسه
 يوم الجمعة، وكان يلبس في الصيف ثوبين ممشقين من ثياب مصر
 ويتلو: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ، وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ
 لِلذَّيْنِ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نَفَصَلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ
 يَعْلَمُونَ ﴾ (٣٢) (١).

وقوله «ثوبين ممشقين»، يعنى ممزقين، وهو غاية الزهد، والورع،
 والتقوى، فالثوب ممزق، فأين الزينة؟.. وأين المتعة؟.. بالثياب ومباهج
 الحياة إنهم فتية أمنوا بربهم وزدناهم هدى، وطاعة، وزهدا فى الدنيا
 فباعوا دنياهم، واشتروا بها آخرتهم فنعم الربح، ونعم الزاد الذى أعدوه
 ليوم الميعاد.

وبلغ من تواضعه أنه كان إذا سار فى المدينة على بغلته لم يقل لأحد
 «الطريق» يعنى لم يطلب من أحد المارة أن يوسع له الطريق، وكان يقول
 فى ذلك هو أى الطريق مشترك بيننا ليس لى أن أنحى عنه أحدا، وكان
 له جلاله عجيبة وحق له ذلك، فقد كان - رحمه الله تعالى - أهلا
 للإمامة العظمى لشرفه، وسؤدده وعلمه، وكمال عقله (٢).

وكانت أمه - رحمه الله تعالى - من بنات ملوك الأكاسرة، تزوج بها
 بعد «الحسين» رضى الله تعالى عنه مولاه «زيد» بياءين فهو أخ لعلى

(١) سورة الأعراف، الآية رقم (٣١).

(٢) سير أعلام النبلاء ج ٥ ، ص ٣٤٠ بتصرف.

ابن الحسين لأمه^(١).

وكان: «زين العابدين» - رضى الله تعالى عنه - له مواقف تذكّر فتشكر، وتدل دلالة واضحة حاسمة على طيب خلقه، وشرف نجاهه، كما تدل أيضا على قوته وشجاعته، ومن هذه المواقف، لما كان على ابن الحسين مع أبيه وهو ابن ثلاث وعشرين سنة، وكان مريضا نائما على فراشه، فلما قتل الحسين، عليه السلام، قال شمر بن ذى الجوشن، اقتلوا هذا.

قال: قاله رجل من أصحابه: سبحان الله!، أنقتل فتى حدثا مريضا لم يقاتل؟!.. وجاء عمر بن سعد فقال: لا تعرضوا لهؤلاء النسوة ولا لهذا المريض.

قال على بن الحسين: فغيبني رجل منهم وأكرم نزلى واختصنى وجعل يبكى كلما خرج ودخل حتى كنت أقول إن يكن عند أحد من الناس خير ووفاء فعند هذا، إلى أن نادى منادا بن زياد: ألا من وجد على بن حسين فليأت به فقد جعلنا فيه ثلاثمائة درهم.

قال: فدخل والله على وهو يبكى وجعل يربط يدي إلى عنقي وهو يقول: أخاف، فأخرجني والله إليهم مربوطا حتى دفعنى إليهم وأخذ ثلاثمائة درهم وأنا أنظر إليه، فأخذت وأدخلت على بن زياد، فقال: ما اسمك؟.

فقلت: على بن الحسين.

(١) طبقات ابن سعد ج ٥ ، ص ١٢٣ .

قال: أو لم يقتل الله علياً؟.

قال قلت: كان لي أخ يقال له علي أكبر مني قتله الناس.

قال: بل الله قتله.

قلت: الله يتوفى الأنفس حين موتها.

فأمر بقتله فصاحت زينب بنت علي: يا ابن زياد حسبك من دمائنا
أسألك بالله إن قتلته إلا قتلتنى معه، فتركه، فلما أتى يزيد بن معاوية
بثقل الحسين ومن بقي من أهله فأدخلوه عليه قام رجل من أهل الشام.
فقال: إن سبأهم لنا حلال، فقال علي بن حسين: كذبت ولؤمت
ما ذاك لك إلا أن تخرج من ملتنا وتأتى بغير ديننا، فأطرق يزيد ملياً
ثم قال للشامى: اجلس، وقال لعلي بن حسين: إن أحببت أن تقيم
عندنا فنصل رحمك ونعرف لك حقك فعلت وإن أحببت أن أردك إلى
بلادك وأصلك.

قال: بل تردنى إلى بلادى، فرده إلى بلاده ووصله^(١).

ومن مواقفه الرائعة أيضاً أنه كان ينهى عن القتال فلقبه قوم من
أهل «خراسان» فشكوا إليه ما يلقونه من ظلم ولاته، فأمرهم بالصبر،
والكف عن القتال حقنا لدماء المسلمين، ثم قال لهم: «إنى أقول كما
قال عيسى - عليه السلام - ﴿إِنْ تُعَذِّبَهُمْ فَأَتَهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَعْفِرْ لَهُمْ فإِنَّكَ أَنْتَ
الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (١١٨) ﴿١١٨﴾ (المائدة: ١١٨).

وكان «زين العابدين» - رحمه الله تعالى - ثقة مأمونا كثير الحديث،

(١) طبقات ابن سعد ج ٥ ص ١٥٧ بتصريف.

(٢) ذاته ص ١٥٧.

عاليا رفيعا، ورعا، وتوفى - رحمه الله تعالى - بالمدينة، ودفن بالبقيع سنة أربعة وتسعين للهجرة، وكان يقال لهذه السنة، سنة العلماء الفقهاء لكثرة من مات فيها، وهو ابن ثمان وخمسين سنة^(١).
ويقول «أبو نعيم» توفى سنة اثنين وتسعين، وقال: «معن» سنة ثلاث وتسعين، وقال «بحى بن بكير» سنة خمس وتسعين والأول هو الراجح والصحيح رضى الله عن آل البيت أجمعين.



(١) طبقات ابن سعد ج ٥ ، ص ١٦٤.

سعد بن إبراهيم الزهري

هو التابعى الجليل، والزاهد الورع الإمام الحجة الفقيه «سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف القرشى الزهري» ويكنى «أبو إسحاق» ويقال هو: «أبو إبراهيم القرشى الزهري المدني»، قدم «واسط» فكتب عنه «الثورى» و «شعبة».

وأمه السيدة الفضلى «أم كلثوم بنت سعد بن أبى وقاص» -رضى الله عنه - كان قاضى المدينة زمن «قاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق» رضى الله تعالى عنه.

وقد ذكره «محمد بن سعد» فى طبقاته، وعده فى الطبقة الرابعة من أهل المدينة، وقال عنه: «كان ثقة، كثير الحديث، وولى قضاء «واسط» فى خلافة هارون ثم ولى قضاء عسكر «المهدى» فى أول خلافة «المأمون» وهو «بخراسان» وكان يروى كتب أبية، وسمع من بعض البغداديين ثم عزل عن القضاء ببغداد فلحق بالحسن بن سهل وهو «بغم الصلح» فولاه قضاء عسكره^(١).

ويذكره «محمد بن أحمد بن حنبل» عن أبية فيقول: «ثقة، ولى قضاء المدينة وكان فاضلا، وعن «يحيى بن معين» «كان ثقة لا يشك»، ويكاد يكون هناك إجماع من العلماء على أنه ثقة^(٢).

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٧ ، ص ٨٣.

(٢) سير أعلام النبلاء ج ٦ ص ٢٠٦ ت/ ٧٩٩. وتهذيب الكمال فى أسماء الرجال للمزى ج ٧.

وروى أنه كان يقضى فى المسجد وقال عنه «أحمد بن حنبل» راويا عن سفيان بن عيينه لما عزل «سعد بن إبراهيم» عن القضاء كان يتقى كما يتقى وهو قاض، يعنى كان يحظى بنفس الإجلال والاحترام والخشية والتقدير بعد أن ترك القضاء كما كان قاضيا بالفعل، فتركه للقضاء لم يقلل من شأنه.

وكان له مواقف فى القضاء تشهد له بالصفة والاعتدال وهو: ما يرويه لنا «ابن أبى ذئب»، فيقول: «قضى سعد بن إبراهيم على رجل برأى ربعة، فأخبرته عن رسول الله ﷺ بخلاف ما قضى به، فقال سعد لرببعة، هذا ابن أبى ذئب - وهو عندى ثقة - يحدث عن النبى ﷺ بخلاف ما قضيت به؟»

فقال ربعة: قد اجتهدت ومضى حكمك.

فقال سعد: واعجبا، أنفذ قضاء سعد ابن أم سعد وأرد قضاء رسول الله ﷺ؟! بل أرد قضاء سعد ابن أم سعد وأنفذ قضاء رسول ﷺ. فدعا سعد بكتاب القضية فشقه، وقضى للمقتضى عليه^(١).

ويروى أنه دخل ناس من القراء، ويعنى هنا بالقراء «العلماء»، على سعد يعودونه، منهم ابن هرمز، وصالح مولى التوأمة.

قال: فاغرورقت عينا ابن هرمز، فقال له سعد: ما يبكيك؟..

قال: أما والله، لئن قلت ذلك ما أخذنى فى الله لومة لائم منذ أربعين سنة.

(١) تهذيب ج ٧ ، ص ٧٣.

ثم قال: ألا تعلم إنكم أحب خلقه إلى - يعنى القراء - يعنى العلماء.
 وكان «سعد بن إبراهيم» - رحمه الله تعالى - من أفقه أهل المدينة
 واتقاهم لربه، وكان يحتبى، أى يشد ركبتيه إلى صدره بحبل فما يحل
 حبوته حتى يقرأ القرآن، ويروى أنه إذا كانت ليلة: إحدى وعشرين،
 وثلاث وعشرين، وخمسة وعشرين، وسبع وعشرين وتسع وعشرين
 لم يفطر حتى يختم القرآن، وكان إذا أفطر أرسل من يحضر له المساكين
 فيأكلون معه - رحمه الله تعالى-^(١).

فقيه العصر وصائم الدهر المتعبد القارى الكاسى العارى سعد بن
 إبراهيم الزهرى، فعن عبد الله بن الفضل الهاشمى وكان من المعدودين
 ممن يؤخذ عنهم العلم قال يعقوب فأنشدنى أبى أبياتا لرجل امتدح بها
 سعد بن إبراهيم.

أقلنى على اللوم يا أم حاجب	فظنى بسعد خير ظن بغائب
فظنى به فى كل أمر حضرته	إذا ما التقينا خير ظن بصاحب
أبوه حوارى النبى وجده	أبو أمه سعد رئيس المناقب
رمى فى سبيل الله أول من رمى	بسهم عظيم الأجر والذكر صائب

وكان يجعل لنفسه حصة من القرآن يقرؤها حتى يقع له ختم القرآن.
 وكان حزب سعد من البقرة إلى الأحزاب: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ أَتَى اللَّهُ وَلَا
 تُطِيعُ الْكُفْرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ١﴾ وَأَتَّبِعَ مَا يُوحَى
 إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ٢﴾^(٢) كان يفطر فيما بين
 المغرب والعشاء الآخرة.

(١) صفة الصفة لابن الجوزى ج ١، ص ٣٨١.

(٢) سورة الأحزاب الآية رقم (٢).

أسند سعد عن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب وأنس بن مالك
ومحمد بن حاطب وأبي أمامة بن سهل بن حنيف وروى عن بن عمر
وروى عن أبيه وعن أبي سلمة وعبيد بن عبد الرحمن بن عوف وسعيد
بن المسيب وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة والقاسم بن محمد بن أبي بكر
وحفص ابن عاصم ونافع في آخرين، وروى عنه من التابعين يحيى بن
سعيد وأيوب السختياني ومن الأئمة والأعلام منصور بن المعتمر والثوري
ومسعر وشعبة ومالك بن أنس.

ومن الأحاديث التي رواها - رحمه الله تعالى - عن عبد الله
بن أحمد ابن حنبل حدثني أبي قال سمعت إبراهيم بن سعد يقول
حدثني أبي سعد قال عن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب يقول
«رأيت رسول الله ﷺ يأكل القثاء بالرطب».

وعن سعد بن إبراهيم عن أبي سلمة عن أبي إبراهيم رضى الله عنه
قال: قال: «رسول الله ﷺ لا تزال نفس ابن آدم معلقة بدينه حتى يقضى
عنه دينه».

وعن سعد بن إبراهيم بن حميد بن عبد الرحمن عن عبد الله بن
عمرو ابن العاص أن رسول الله ﷺ قال «من الكبائر شتم الرجل والديه قالوا
يا رسول الله وهل يشتم الرجل والديه قال نعم يسب أبا الرجل فيسب
أباه ويسب أمه فيسب أمه».

وعن سعد بن إبراهيم عن القاسم بن محمد عن عائشة رضى الله تعالى
عنها عن النبي ﷺ قال: «من فعل شيئاً ليس من أمرنا فهو مردود».

وعن سعد بن إبراهيم عن عبد الله بن كعب بن مالك بن كعب بن مالك رضى الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: «مثل المؤمن مثل الخامة من الزرع تكفئها الريح مرة ههنا ومرة ههنا لا تصرعها ومثل الكافر مثل الأرزة المجدية بين الشجر لا يكفئها شىء حتى يكون انجعافها مرة واحدة».

وعن سعد بن إبراهيم عن نافع عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ لو أن أحدا نجا من عذاب القبر لنجا منه سعد ابن معاذ وقال بأصابعه الثلاثة فجمعها كأنه يقللها ثم قال ضغط ثم عوفى^(١). وتوفى - رحمه الله تعالى - سنة خمسة وعشرين ومائة، وقيل سنة ست وعشرين ومائة، وقيل سنة سبع وعشرين ومائة، وهو ابن اثنتين وسبعين سنة^(٢).

وقيل فى موضع آخر مات سنة ثمان وعشرين ومائة، وفى الطبقات، توفى سنة إحدى وعشرين ومائتين وهو ابن ثلاث وستين سنة، بعد حياة حافلة بالزهد، منعمة بالورع والتقوى، فياليت شباب المسلمين يدرسون هذه النماذج التى تعد من طراز فريد فى الزهد والتقوى والورع، والخوف من الله تعالى، والمداومة على قراءة القرآن الكريم دستور هذه الأمة، والذى قال فيه رسول الله ﷺ لقد تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى أبدا كتاب الله وسنتى.

ولا غرو، ولا عجب فى أن يحيى «سعد بن إبراهيم الزهرى» فى هذا

(١) الحلية ص ١٧٣-١٧٤.

(٢) الثقات ج ٦ ، ص ٣٧٥ ، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان.

الثوب من العبادة، والتقوى، وقراءة القرآن فهو سليل الأتقياء حيث إن جده لأبيه «عبد الرحمن بن عوف» وجدته لأمه «سعد بن أبي وقاص» فلقد كان للبيئة الإسلامية التي انحدر منها هذا التابعي الجليل كبير الأثر في زهادته وورعه وتقواه وعبادته وخوفه من الله رحم الله التابعي الجليل.



كهمس البصرى

هو التابعى الجليل، والزاهد الورع، والمحدث الفقيه «كهمس بن الحسن بن التميمى الحنفى القيسى البصرى» يكنى «أبو الحسن»، وفى صفة الصفوة يكنى «أبا عبيد الله» وهو من كبار الثقات، ويذكر صاحب الحلية فيقول: «ومنهم الورع البكاء، كهمس بن الحسن أبو عبد الله الدعاء» وكان -رحمه الله تعالى- كثير البكاء، سئل عن ذلك قال كهمس: يا أبا سلمة أذنبت ذنباً فأنا أبكى عليه منذ أربعين سنة، قلت: وما هو يا أبا عبد الله، قال: زارنى أخ لى فاشتريت له سمكا بدائق، فلما أكل قمت إلى حائط جار لى فأخذت منه قطعة طين فمسح بها يده، فأنا أبكى عليه منذ أربعين سنة.

وكان كهمس يصلى ألف ركعة فى اليوم والليلة، فإذا مل قال لنفسه: قومى يا مأوى كل سوء، فوالله ما رضيتك لله ساعة قط، ويروى أنه سقط من كهمس دينار فى الطريق؟.. فرجع فى طلبه، قال: فوجده فلما صار فى يده، قال: أحمد، ما أدرى أهو دينارى أو غيره، وهذا هو الورع والتقوى، والزهد فى الدنيا، والخوف من الله - عز وجل - وتحريم الحلال.

وكان - رحمه الله تعالى - باراً بأمه ويعمل فى الجص كل يوم بدانقين فإذا أمسى اشترى به فاكهة فأتى بها إلى أمه.

وكان كهمس رجلاً صالحاً من بنى حنيفة وكان يؤذن، وكان يقوم على أمه حتى ماتت، ثم خرج فأقام، بمكة حتى مات، أتى السوق

ذات مرة فاشترى لأمه سكرًا بدانق، فوضع صاحب السكر وزن نصف درهم، فقال رجل من جيران صاحب السكر له: أما تتقى الله تضع وزن نصف درهم؟..

فقال كهمس: أحمد - يعنى ربه وكانت يمينه دينى أحمد الله - ما رأيت دانقًا أكبر منه.

ومن كراماته - رحمه الله تعالى - أنه اشترى دقيقًا بدرهم، فأكل منه، فلما طال عليه كاله فإذا هو كما وضعه فجعل بعد لا يأخذ منه شيئًا، إلا نقص حتى فنى، وقد نقص الدقيق بعد أن كاله «كهمس» وباح بسر كرامته هذه^(١)، وصدق القائل:

بالسر إن باحوا تباح دماؤهم وكذا دماء العاشقين تباح

وفى هذه الرواية توجيه لنا، ونصح وإرشاد بأن يحافظ أولياء الله والصالحون على هذه الأسرار لأنها منح من الله - عز وجل - فعلى الممنوح أن يشكر المانح، والمعطى، والواهب وهو الله - عز وجل - حتى تستمر معه النعمة، ويكثر الكثير، وتعم البركة، وتقوى صلته بالله.

وبلغ به الورع أنه رأى عقرباً فى البيت، فأراد أن يقتلها أو يأخذها فسبقته إلى جحرها، فأدخل يده فى الجحر يأخذها وجعلت تضربه، فقيل: ما أردت إلى هذا، لم أدخلت يدك فى جحرها تخرجها؟.. قال: إنى أحمد أى أحمد الله، خفت أن تخرج من الجحر فتجىء إلى أمى فتلدغها، وكان يمينه الذى يحلف به إنى أحمد، وأحمد^(٢).

(١) سير أعلام النبلاء ج ٦ ص ٤٨٦، وصفة الصفة ج ١ والثقات ج ٩، ص ٢٦.

(٢) الحلية ج ٦، ص ٢١١ بتصرف.

كان كهمس أبر شىء بأمه، قال فكان فى جيرانهم عرس فيه مخنثون، قال فجعلوا يرفعون أصواتهم يغنون، فكان هكذا يتكلم، أحمد ما تحسنون، فأرسل إليه سليمان بن على الهامشى بصرة، وكان يكسح البيت ويخدم أمه، فأرسل بالصرة إليه أحسبه قال اشتر بها خادمًا لأملك لأنه كان مشغولًا بخدماتها، فأراده على أن يأخذها فأبى، فألقاها فى البيت فأخذها وخرج يتبعه حتى دفعها إليه.

وكان عمرو بن عبيد يأتى كهمسًا يسلم عليه ويجلس عنده هو وأصحابه، فقالت له أمه: إنى أرى هذا وأصحابه وأكرهم وما يعجبونى فلا تجالسهم.

فقال: فجاء إليه عمرو وأصحابه فأشرف عليهم.

فقال: إن أمى قد كرهتك وأصحابك فلا تأتونى^(١).

وبلغ من زهده، وورعه أن عبد الله بن المبارك يروى عنه: «كنا مع كهمس فدنا من الماء ليشرّب، فذاقه فوجده باردًا فأمسك قال: هاك أبا عبد الرحمن تحاسب بفضلها.

وكان كهمس يقول فى جوف الليل مخاطبًا ربه، أراك معذبى وأنت قرة عينى يا حبيب قلباه، ويروى أنه اجتمع مع بديلاً وشميظًا فى بيت بعضهم، فقالوا: تعالوا اليوم حتى نبكى على الماء البارد، وكانهم أرادوا قول الحق سبحانه حين قال النبى ﷺ فى وقت الحر مع بعض أصحابه فى ظل شجرة، وأكلوا تمرا، وشربوا ماء باردًا، فقال لهم النبى ﷺ «والله لتسألن يومئذ عن النعيم».

(١) ذاته ص ٢١٢ بتصريف.

وكان - رحمه الله تعالى - جوادا كريما. وقد حدث عن «أبي الطفيل، وعبد الله بن شقيق، وعبد الله بن بريده، والحسن البصرى.....» وغيرهم. كما حدث «ابن المبارك ومعتمر، ووكيعة، ومعاذ بن معاذ، وأبو عبد الرحمن المقرنى، ويحيى بن سعيد القطان، وغيرهم».

ومن إسناده - رحمه الله تعالى - ما يرويه عن «عبد الله بن شقيق العيلى» قال: «قلت لعائشة: أكان النبي ﷺ يصلى الضحى؟، فقالت: لا، إلا أن يجيء من مغيبة.

قلت: أو كان يصلى جالساً؟.

قالت: بعد ما حطته السن.

قلت: أفكان يقرن السور؟.

قالت: المفصل.

قلت: أفكان يصوم شهر كله إلا رمضان؟.

قالت: لا أعلمه أفطر شهراً كله حتى يصيب منه، حتى مضى

لوجهه ﷺ. (١)

ويروى كهمس عن عبد الله بن شقيق، عن محجن بن الأذرع، قال:

«بعثنى رسول ﷺ لحاجة، ثم عرض لى وأنا خارج من طريق المدينة.

قال فأخذ بيدي فانطلقنا حتى سعدنا على أحد، فأقبل على المدينة،

فقال لها قولاً، وكان فيما قال: «ويل إنها قرية يدعها أهل كأيمنع ما

تكون»..

(١) الحلية ج ٦ ص ٢١٤.

قال: قلت: يا رسول الله من يأكل ثمرها.
قال: عافية الطير والسباع، ولا يدخلها الدجال، كلما أراد أن يدخلها
يلقاه بكل نقب ملك مسلط، ثم أقبل حتى إذا كان بباب المسجد إذا رجل
يصلى.

قال تقوله صادقاً؟

قلت: يا نبي الله هذا فلان، هذا أكثر أهل المدينة صلاة، أو من أكثر
أهل المدينة صلاة.

فقال: لا تسمعه فيهلك، لا تسمعه فنهلكه^(١).

وعن كهمس بن الحسن، عن عبد الله بن بريده، عن عائشة، قالت:
«جاءت امرأة تريد رسول ﷺ فلم تلقه، فجلست تنتظره حتى جاء.

فقلت: يا رسول إن لهذه المرأة حاجة.

قال لها: «ما حاجتك؟...».

قالت: إن أبى زوجنى من ابن أخ له ليرفع خسيسته فى ولم
يستأمرنى، فهل لى فى نفسى أمر؟.

قال: نعم.

قالت: ما كنت لأرد على أبى شيئاً صنعته، ولكن أحببت أن تعلم
النساء لهن فى أنفسهن مؤامرة أم لا^(٢).

وعن كهمس، عن مصعب بن ثابت، عن عبد الله بن الزبير، قال:
قال عثمان وهو يخطب على منبره: «إنى محدثكم بحديث سمعته

(١) ذاته ص ٢١٤.

(٢) ذاته.

عن رسول الله ﷺ يقول: « ولم يكن يمنعني أن أحدثكم إلا الظن بكم ، سمعت رسول ﷺ يقول : «حرس ليلة في سبيل الله أفضل من ألف ليلة يقام ليلها، ويصام نهارها»^(١).

وتوفى كهمس بن الحسن - رحمه الله تعالى - في سنة «تسع وأربعين ومائة» وكان كهمس يقول في جوف الليل مخاطبا ربه : أراك معذبي وأنت قرّة عيني يا حبيب قلباه !!^(٢)



(١) ذاته ص ٢١٥ .

(٢) سير أعلام النبلاء ج ٦ ، ص ٤٨١ .

يزيد بن الأصم

من أجلة التابعين ، المنيب الأقوم «يزيد بن الأصم» وهو عمر ، ويقال «عبد عمرو» ويقال «عدس بن معاوية ، الإمام الحافظ ويكنى «أبوعوف ، العامري ، البكائي».

وأمه «برزة بنت مسعود عمرو بن عمير الثقفي» وشهرتها «برزة الهلالية» أخت أم المؤمنين «ميمونة بنت الحارث» وأم الفضل «لبابة الكبرى» وعصمة والدة خالد بن الوليد ، وهي المسماة «لبابة الصغرى» العصماء بنت الحارث . تزوجها الوليد بن المغيرة بمكة فولدت له خالد بن الوليد سيف الله المسلول ثم أسلمت بعد الهجرة ، وبايعت رسول الله^(١) .

ويروى لنا يزيد بن الأصم ، قال : لقيت عائشة رضى الله تعالى عنها وهي مقبلة من مكة وأنا وابن لطلحة بن عبيد الله وهو ابن أختها ، وقد كنا وقعنا فى حائط من حيطان المدينة فأصبنا منها فبلغها ذلك ، فأقبلت على ابن أختها تلومه وتعذله ، ثم أقبلت على فوعظتني موعظة بليغة . ثم قلت : أما علمت أن الله تعالى ساقك حتى جعلك فى بيت نبيه . ذهبت والله ميمونة ، ورمى رسنك على غارك ، أما إنها كانت من أتقانا لله وأوصلنا للرحم^(٢) .

ويحدثنى التابعى الجليل ، والزاهد الورع يزيد بن الأصم : أن رجلاً كان ذا بأس وكان يوفد على عمر ليأسه وكان من أهل الشام ، وأن عمر

(١) طبقات ابن سعد ج ٧ ، ص ٣١٣ .

(٢) الحلية ج ٤ ، ص ٩٧ بتصرف ، وسير أعلام النبلاء ج ٥ ، ص ٤٢٣ .

فقدته فسأل عنه فقيل له: تتابع في هذا الشراب! فدعا كاتبه.

فقال اكتب: من عمر بن الخطاب إلى فلان، سلام عليك فإني أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو، غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذى الطول لا إله إلا هو إليه المصير، ثم دعا وأمن من عنده ودعوا له أن يقبل الله بقلبه وأن يتوب عليه، فلما أتت الصحيفة الرجل جعل يقرأ.

ويقول: غافر الذنب قد وعدنى الله أن يغفر لى، وقابل التوب شديد العقاب، قد حذرنى الله عقابه، ذى الطول والطول الخير الكثير، لا إله إلا هو إليه المصير، فلم يزل يرددّها على نفسه ثم نزع فأحسن النزع، فلما بلغ عمر أمره.

قال: هكذا فاصنعوا إذا رأيتم أخواً لكم زل فسددوه ووقفوه وادعوا الله أن يتوب عليه، ولا تكونوا أعواناً للشيطان عليه.

يعنى أنه من واجب المسلم إذا رأى أخواً له فى الإسلام زل زلة أى أخطأ خطأ، أو اقتترف إثماً، أو اجترح سيئة من الواجب عليه أن ينصحه، وأن يرشده، وأن يوجهه للخير، لعله يسترشد، أو يتوب، ولقد أرشدنا إلى ذلك رسول ﷺ حيث قال: «الدين النصيحة، قلنا لمن يا رسول الله؟.. قال: لله ولرسول ولكتابه، ولأئمة المسلمين وعامتهم».

وحدثنا يزيد بن الأصم، قال: إن رجلاً فى الجاهلية شرب فسكر فجعل يتناول القمر، فحلف لا يدعوه حتى ينزله، فيثب الوثبة

ويخر ويكدح وجهه ، فلم يزل يفعل ذلك حتى خر فنام ، فلما أصبح قال لأهله ، ويحكم ما شأنى؟.. قالوا: كنت تحلف لتنزلن القمر فتثب فتخر فهذا الذى لقيت منه ما لقيت ، قال: أرأيت شراباً حملنى على أن أنزل القمر، لا والله لا أعود إليه أبداً^(١).

وكان للتابعى الجليل «يزيد بن الأصم» - رحمه الله تعالى - موقفاً مع الحسين بن على ابن أبى طالب حيث كتب يزيد بن الأصم إلى الحسين بن على حين خرج: أما بعد فإن أهل الكوفة قد أبو إلا أن ينفضوك، وقل شىء، نفص إلا قلق، وإنى أعيدك بالله أن تكون كالمعتز بالبرق أو كالمسبق للسراب، واصبر إن وعد الله حق، ولا يستخفك الذين لا يوقنون^(٢).

وتلك النصائح، والوصايا والعظات من «يزيد بن الأصم» رحمه الله تعالى للحسين بن على لدلالة حاسمة على أنه صاحب بصر ثاقب، وبصيرة نافذة، ونظرة فاحصة تزن الأمور بميزان الإيمان، حيث لا ينصح المؤمن إلا مؤمن مثله يخشى الله ويراقبه، ولذلك نصح «الحسين بن على» -رضى الله على آل البيت أجمعين - نصيحة تعد من الكلم العوالى والحكم العوالى حيث بصره بنفاق أهل الكوفة، وخداعهم له، وتغريهم له.

وقد حدث «يزيد بن الأصم» عن خالته أم المؤمنين «ميمونة بنت الحارث» وابن خالته «عبد الله بن عباس» -رضى الله تعالى عنه- وعلى

(١) الحلية ج ٤ ، ص ٩٨.

(٢) ذاته.

ابن طالب، وسعد بن أبي وقاص، وأبي هريرة، وعائشة، ومعوية، وعوف بن مالك، وغيرهم، ولكن روايته عن علي لا تصح وقد أدركه، وكان بالكوفة في خلافته، كما حدث عن ابن أخيه، «عبد الله بن عبد الله بن الأصم» وميمون بن مهران، وابن شهاب، وأجلح الكندي، وعلي بن نزيمة، ويزيد بن يزيد، وجعفر بن برقان وليث بن أبي سليم، وآخرون.

ومن الأحاديث التي رواها «يزيد بن الأصم» ما رواه عن أبي هريرة.. رفعه إلى النبي ﷺ قال: «يقول الله عز وجل: عبدى عند ظنن بي، وأنا معه إذا دعاني»^(١).

وعن يزيد بن الأصم عن أبي هريرة يرفعه إلى النبي ﷺ قال: «إن الله تعالى لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن إنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم». وعن يزيد بن الأصم، عن أبي هريرة يرفعه إلى النبي ﷺ قال: «ليس الغنى عن كثرة العرض، ولكن الغنى غنى النفس، والله ما أخشى عليكم الخطأ، ولكن أخشى عليكم العمد، وما أخشى عليكم الفقر، ولكن أخشى عليكم الغنى والتكاثر»^(٢).

وأيضاً عن يزيد بن الأصم، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «تظهر الفتن ويكثر الهرج، قيل، وما الهرج يا رسول الله؟.. قال: القتل ويقتبض العلم».. فسمعه عمر بن الخطاب يأثره عن رسول الله ﷺ فقال: أما إن قبض العلم ليس بشيء ينتزع عن صدور الرجال ولكنه فناء العلماء»^(٣).

(١) الحلية ج ٤ ، ص ٩٨ .

(٢) ذاته .

(٣) ذاته ص ٩٩ .

يروى لنا يزيد بن الأصم، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث من لم يكن فيه واحدة منهن فإن الله تعالى يغفر له ما دون ذلك لمن يشاء، من مات لا يشرك بالله شيئاً، ولم يكن ساحراً يتبع السحرة، ولم يحقد على أخيه»^(١).

وعن يزيد بن الأصم، عن ابن عباس، قال: قال رجل للنبي ﷺ: «ما شاء الله وشئت، قال: جعلت الله نداً؟.. ما شاء الله وحده».. وحدثنا يزيد بن الأصم، عن ابن عباس، عن النبي ﷺ قال: «ما فوق الإزار، وجلف الخبز، وظل الحائط، وجرة الماء فضل يحاسب به أو يسأل عنه يقوم القيامة».

يروى لنا أبو سليمان عبد الله بن الأصم، عن عمه يزيد بن الأصم، عن ميمونة رضى الله تعالى عنها، قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا سجد لو أرادت بهيمة أن تمر تحته لمرت مما يجافى».

وعن يزيد بن الأصم، عن ميمونة رضى الله تعالى عنها، قالت: «كان النبي ﷺ إذا سجد جافى حتى يرى من خلفه وضح إبطيه».

ويروى لنا ابن الكلبى فيقول: «سمى رسول الله ﷺ الأصم عبد الرحمن وكتب له بمائة الذى أسلم عليه «ذى القصة» بالفتح وتشديد الصاد وهو موضع يدخله ماء السماء عذبا زلالا، وذى القصة ماء لبنى طريف، وقيل «ذو القصة» جبل فى سلمى من جبل طيبى، عند سقف وغصور، وقيل إنه بينه وبين المدينة أربعة وعشرون ميلا، وهو طريق الريذة»^(٢).

(١) ذاته ص ١٠٠.

(٢) معجم البلدان لياقوت الحموى ج ٤، ص ١٦٦.

وتوفى - رحمه الله تعالى - سنة إحدى ومائة للهجرة، وقيل مات سنة ثلاث ومائة، وفي رواية للواقدي أن يزيد بن الأصم مات سنة ثلاث ومائة وهو ابن ثلاث وسبعين سنة^(١).

□□□

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي ج ٥، ص ٤٢٥، وطبقات ابن سعد ج ٧، ص ٣١٣.

أبو عبد الرحمن السلمى

من أجلة التابعين، الصوام، القوام، ومقرئ الأئمة والأعلام، على مدى السنين والأعوام، فى التعبد لبيب، وفى التعليم أريب، أبو عبد الرحمن السلمى عبد الله بن حبيب بن ربيعة الكوفى.

وفى تهذيب الكمال «عبد الله بن حبيب بن ربيعة بالتصغير، أبو عبد الرحمن السلمى الكوفى، القارئ ولأبيه صحبة، ويذكره صاحب صفة الصفوة فيقول: «هو عبد الله بن حبيب أبو إسحاق السبيعى وأنه أقرأ أبو عبد الرحمن السلمى القرآن فى المسجد أربعين سنة».

ويضيف قائلاً هو عبد الله بن حبيب بن ربيعة بفتح الموحدة وتشديد الياء «أبو عبد الرحمن السلمى الكوفى القارئ، مشهور بكنيته، ولأبيه صحبة، ثقة ثبت، ويعد فى الطبقة الثانية للتابعين»^(١).

وكان - رحمه الله تعالى - صواماً قواماً فيروى لنا عطاء بن السائب، قال: ذهبنا نرجى أبا عبد الرحمن السلمى عند موته، فقال: إنى لأرجو ربي وقد صمت له ثمانين رمضاناً.

ويحدثنا الأعمش، عن شمر، قال: أخذ بيدي أبو عبد الرحمن السلمى، فقال: كيف قوتك على الصلاة؟.. فذكرت ما شاء الله أن أذكره، قال أبو عبد الرحمن، كنت أنا مثلك أصلى العشاء ثم أقوم أصلى، فإذا أنا حين أصلى الفجر أنشط منى أول ما بدأت.

(١) الحلية ج ٤ ، ص ١٩١ وما بعدها.

وإنه كان يؤتى بالطعام إلى المسجد فرمما استقبلوه به فى الطريق فيطعمه
 المساكين فيقولون: بارك الله فيك، فيقول وبارك الله فيكم، ويقول: قالت
 السيدة الفضلى عائشة رضى الله تعالى عنها إذا تصدقتم «ودعى لكم فردوا
 حتى يبقى لكم أجر ما تصدقتم به»^(١).

ومما يدل على ورعه أنه كان ينهى الشباب عن الجلوس، والسماع
 إلى القصص الذين يتحدثون بأشياء لا تتفق مع القرآن والسنة، فذلك
 دليل على أنه كان ورعا يتحرى الصدق، ولا غرو فهو من القراء الثقات
 تعلم القرآن وعلمه.

كما كان - رحمه الله تعالى - يصوم النهار، ويقوم الليل لم تكتحل
 عينه بنعاس خوفا من عذاب الله، وطمعا فى رحمته فهو من العباد،
 الزهاد الذين تحقق فيهم قول المولى عز وجل ﴿ نَسْجَاتٍ جُنُوبُهُمْ عَنِ
 الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾^(٢).

ومن الذين أخذوا عنه القرآن الكريم «عاصم بن أبى النجور» ويحيى
 ابن وثاب، وعطاء بن أبى السائب، وعبد الله بن عيسى بن عبد الرحمن
 ابن أبى ليلى، ومحمد بن أبى أيوب، والشعبى، وإسماعيل بن أبى
 خالد، وعرض عليه الحسن والحسين رضى الله عنهما.

وكان - رحمه الله تعالى - ثقة رفيع المحل، ويروى أنه تعلم القرآن
 من عثمان - رضى الله تعالى عنه - كما عرض القرآن على «على بن أبى
 طالب» رضى الله تعالى عنه.

(١) الحلية جـ ٤، ص ١٩٢ وما بعدها.

(٢) السجدة ١٦.

وكان يقرئ القرآن للناس في المسجد الأعظم أربعين سنة، كما كان أقرأ الناس في خلافة عثمان - رضى الله تعالى عنه - كما أنه كان إمام المسجد، وكان يحمل في اليوم المطير، وذلك دليل على حرصه على أداء الصلوات الخمس في المسجد، حتى إنه يحمل إلى المسجد إذا عجز عن المشى.

وكان يقول: أخذنا القرآن عن قوم أخبرونا أنهم كانوا إذا تعلموا عشر آيات لم يجاوزوهن إلى العشر الأخرى حتى يعلموا ما فيهن، فكنا نتعلم القرآن والعمل به، وسيرت القرآن بعدنا قوم يشربونه شرب الماء لا يجاوز تراقيهم.

وكان لا يأخذ على تعليم القرآن الكريم أجر فعن عبد الحميد بن أبى جعفر الفراء: عن أبيه، عن أبى عبد الرحمن السلمى، أنه جاء وفى الدار جلال وجزر، فقالوا: بعث بها عمرو بن حريث لأنك علمت ابنه القرآن: فقال: إنا لا نأخذ على كتاب الله أجرا^(١).

وهو خيار من خيار المسلمين، وقد وعى قول رسول الله ﷺ: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه».. ولما سمع هذا الحديث يرويه «عثمان بن عفان» رضى الله تعالى عنه قال أبو عبد الرحمن: فذلك الذى أقعدنى هذا المقعد. وكان - رحمه الله تعالى - أعمى حيث قال أبو حصين عثمان بن عاصم: كنا نذهب بأبى عبد الرحمن من مجلسه، وكان أعمى، وقال إسماعيل بن أبى خالد: كان أبو عبد الرحمن السلمى يعلمنا القرآن، خمس آيات خمس آيات^(٢). ويذكرون أن السلمى قرأ على عثمان عامة القرآن، وكان يسأله عن القرآن، فيقول: إنك تشغلنى عن أمر الناس، فعليك بزيد بن ثابت،

(١) سير أعلام النبلاء جـ ٥، ص ٢٥٠.

(٢) ذاته ص ٢٥١.

فإنه يجلس للناس، ويتفرغ لهم، ولست أخالفه في شيء من القرآن. قال: وكنت ألقى علياً، فأسأله، فيخبرني، ويقول: عليك بزيد، فأقبلت على زيد، فقرأت عليه القرآن ثلاث عشرة مرة.

ويحدثنا عطاء بن السائب، قال: كان رجل يقرأ على أبي عبد الرحمن، فأهدى له قوساً فردها وقال: ألا كان هذا قبل القراءة، وقد كان ثبتاً في القراءة، وفي الحديث حديثه مخرج في الكتب الستة.

ويذكر صاحب تهذيب الكمال فيقول: «قرأ أبو عبد الرحمن السلمي القرآن في المسجد، أربعين سنة وهو كوفي، تابعي ثقة، كما ذكره ابن سعد في الطبقات وقال: «كان ثقة كثير الحديث، وشهد مع علي ابن أبي طالب معركة «صفين» وكان من أصحاب عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه^(١)».

وحدث عنه: عاصم، وأبو إسحاق، وعلقمة بن مرثد، وعطاء ابن السائب وعدد كثير.

ومن روايته أنه قال: «دخلت المسجد وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه على المنبر، وهو يقول: قال رسول الله ﷺ: «إن الله أوحى إلى نبي من أنبياء بني إسرائيل: قل لأهل طاعتي من أمتك أن لا يتكلموا على أعمالهم، فإن لا أقاص عبداً الحساب يوم القيامة أنساء أن أعذبه إلا عذبه وقل لأهل معصيتي من أمتك لا يلقوا بأيديهم فإنني أغفر الذنوب العظيم ولا أبالي، وأنه ليس من أهل قرية أو مدينة، ولا أهل أرض ولا رجل بخاصة ولا امرأة يكون لي على ما أحب إلا كنت

(١) تهذيب الكمال في أسماء الرجال للمزني ج ١٠، ص ٨٠ - ٨١.

له على ما يحب، وأنه ليس من أهل مدينة ولا أهل أرض ولا رجل
 بخاصة ولا امرأة يكون على ما أحب إلا كنت له على ما يحب ثم يتحول
 عما أحب إلى ما أكره إلا تحولت له مما يحب إلى ما يكره، وأنه ليس
 من أهل قرية ولا أهل مدينة، ولا أهل أرض ولا رجل بخاصة ولا امرأة
 يكون على ما أكره إلا كنت له على ما يكره ثم يتحول عما أكره إلى ما
 أحب إلا تحولت له على ما يكره إلا ما يحب، ليس منى من تطير أو
 تطير له أو تكهن أو تكهن له أو سحر أو سحر له، إنما إنا وخلقى وكل
 خلقى لى»^(١).

وعن أبى عبد الرحمن، قال: « إن الملك يجىء إلى أحدكم غدوه
 بصحيفة فليمل فيها خيراً، فإنه إذا أملى فى أول الصحيفة خيراً وفى
 آخرها خيراً كان عسى أن يكفر ما بينهما».

وتوفى - رحمه الله تعالى - بعد حياة حافلة بالورع والزهد، عامرة
 بالإيمان والتقوى وتلاوة القرآن الكريم، وتعليم الناشئة، لحق ربه - عز
 وجل - سنة أربع وسبعين للهجرة، وقيل: مات فى إمرة بشر بن مروان
 على العراق، وقيل: مات سنة ثلاث وسبعين، وقيل: مات قبل سنة
 ثمانين، وقيل: مات فى أوائل ولاية الحجاج على العراق.

رحم الله هذا التابعى الجليل وجعله نبزاً يضيء الطريق أمام
 شبابنا الذى تهب عليه كل لحظة رياح الفتنة الهوجاء راجين المولى -
 عز وجل - أن يعظنا من الفتن وأن يحفظنا من المعاصى، وأن يوفقنا إلى
 ما فيه رضاه وأن يغيثنا بفضلته عمّن سواه. آمين.

(١) الحلية ج ٤ ص ١٨٥.

عائذ الله «أبو إدريس الخولاني»

هو التابعى الجليل، والزاهد الورع، والعالم التقى، واعظ دمشق عائذ الله بن عبد الله بن مسعود بن عمرو، ويقال إنه عبد الله بن إدريس بن عائذ ابن عبد الله بن عتبة بن غيلان بن مكين العوذى، ويقال «العيزى» ويكنى أبو إدريس الخولاني، كان من علماء أهل الشام، وعبادهم، وقرائهم، كما كان قاضيا لدمشق وكانت له هيبة عجيبة، سئل دحيم عنه وعن جبير، أيهما أعلم؟.. قال أبو إدريس هو المقدم، ورفع أيضا من شأن جبير بن نغير لإسناده وأحاديثه^(١).

وعاصر «أبو إدريس الخولاني» من علماء الشام كثير بن مرة، وقبيصة ابن ذؤيب، وعبد الله بن محيريز الجمحي، وأم الدرداء وكانوا جميعا فى دولة «عبد الملك بن مروان» وحدث عن أبى ذر، وأبى الدرداء، وحذيفة، وأبى موسى، وشداد بن أوس، وعبادة بن الصامت، وأبى هريرة، وعوف بن مالك الأشجعي، وعقبة بن عامر الجهنى والمغيرة بن شعبة، وابن عباس، ومعاوية بن أبى سفيان، وعبد الله بن حوالة، وأبى مسلم الخولاني.

كما حدث عنه أبو سلام الأسود، ومكحول، وابن شهاب وعبد الله ابن عامر اليحصبى، ويحيى بن يحيى الغساني، وعطاء بن أبى مسلم، وأبو قلابة الجرمى، ومحمد بن يزيد الرحبى، ويونس بن ميسرة بن حلبس، ويزيد بن أبى مريم وربيعة القصير وآخرون.

(١) سير أعلام النبلاء، ج ٥ . ص ٢٥٣.

وقال أحمد بن زهير، سمعت يحيى بن معين يقول: أبو إدريس قد سمع من أبي ذر، وكان من فقهاء أهل الشام، ومن مكحول أنه قال: «ما رأيت مثل أبي إدريس الخولاني، وكانوا يعدونه عالم أهل الشام بعد أبي الدرداء»^(١).

ويروى لنا مكحول يقول: كانت حلقة من أصحاب النبي يدرسون جميعا، فإذا بلغوا سدة بعثوا إلى أبي إدريس الخولاني، فيقرؤها، ثم يسجد، فيسجد أهل المدارس».

ويروى محمد بن شعيب بن شابور: أخبرني يزيد بن عبيدة، أنه رأى أبا إدريس في زمن عبد الملك بن مروان، وأن حلق المسجد بدمشق يقرؤون القرآن، يدرسون جميعا، وأبو إدريس جالس إلى بعض العمد، فكلما مرت حلقة بآية سجدة بعثوا إليه يقرأ بها، وأنصتوا له وسجد بهم جميعا، وربما سجد بهم اثنتي عشرة سجدة حتى إذا فرغوا من قراءتهم قام أبو إدريس يقص.

ويروى أنه حدث يوما عن بعض مغازي رسول الله ﷺ حتى استوعب الغزاة، فقال له رجل من ناحية المجلس: أحضرت هذه الغزوة؟ فقال: لا.

فقال الرجل: قد حضرتها مع رسول الله ﷺ، ولأنت احفظ لها مني^(٢). وكان عبد الملك بن مروان يثق به، فعن ابن جابر، أن عبد الملك عزل أبا إدريس عن القصص، وأقره على القضاء، وعزل بلال بن أبي الدرداء، فقال أبو إدريس: عزلتموني عن رغبتي، وتركتموني في رهبتي.

(١) تذكرة الحفاظ ج ١، ص ٥٧.

(٢) السيرة ج ٥، ص ٢٥٣.

وعن ابن شهاب، قال: جلست إلى أبي إدريس الخولاني يوماً وهو يقص، فقال: لا أخبركم بمن كان أطيّب الناس طعاماً،؟ فلما رأى الناس قد نظروا إليه، قال: يحيى بن زكريا كان أطيّب الناس طعاماً إنما كان يأكل مع الوحش كراهة أن يخالط الناس في معاشهم.

ويقول عنه الطبراني في طبقات الفقهاء حيث ذكره في نفر من أهل الشام فقال عنه: «إنه أهل فقه في الدين، وعلم بالأحكام، والحلال والحرام»^(١).

ومما رواه: «عن أبي إدريس الخولاني، عن أبي زر، قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله تعالى: يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا، يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعاً ولا أباي فاستغفروني أغفر لكم، يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم، يا عبادي كلكم عار فاستكسوني أكسكم، يا عبادي لم يبلغ ضرکم أن تضروني ولم يبلغ نفعكم أن تنفعوني، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وجنكم وإنسكم اجتمعوا وكانوا على أفجر قلب رجل منكم لم ينقص ذلك من ملكي مثقال ذرة، ويا عبادي لو أن أولكم وآخركم وجنكم وإنسكم اجتمعوا في صعيد واحد فسألوني جميعاً فأعطيت كل إنسان منهم مسألته لم ينقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المحيط إذا غمس في البحر، يا عبادي إنما هي أعمالكم ترد إليكم فمن وجد خيراً فليحمدني ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه».

(١) تهذيب التهذيب ج ٥، ص ٨٥.

ويروى الزهري فيقول: أخبرني أبو إدريس الخولاني إنه سمع عبادة بن الصامت يقول: «كنا عند النبي ﷺ في مجلس فقال: «تبايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً ولا تسرقوا ولا تزنوا، فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب به في الدنيا فهو كفارة له، ومن أصاب من ذلك شيئاً فستره الله عليه فهو إلى الله إن شاء غفر له وإن شاء عذبه».. قال سفيان: كان عند الزهري فلما حدث بهذا الحديث أشار إلى أبو بكر الهذلي أن احفظه، فكتبتة، فلما قام الزهري أخبرت به أبا بكر.

ولحق بالرفيق الأعلى - رحمه الله تعالى - سنة ثمانين من الهجرة النبوية الشريفة، كما ذكر ذلك خليفة بن خياط في طبقاته، وابن معين، حيث قال أبو إدريس الخولاني سنة ثمانين^(١).



(١) طبقات خليفة بن خياط

عمران القصير

هو التابعى الجليل، والواعظ البصير، والمحث على السير إلى المصير «أبو بكر عمران بن مسلم المنقرى البصرى القصير»، ويكنى «أبو بكر»، والصائب أنه «عمران بن مسلم المنقرى بكسر الميم وسكون النون أبو بكر القصير: «البصرى، وهو مكى من الطبقة السادسة، وكان -رحمه الله تعالى - صدوقا، ورعا، زاهدا، تقيا عاملا للدار الآخرة، فكان يقول - رحمه الله تعالى - لجلسائه: «ألا كريم يصبر أياما قلائلا».

وتروى لنا ابنته «أمينة بنت عمران القصير عن أبيها: «وكان قد عاهد الله أن لا ينام بليل أبداً إلا متسغلباً».

قالت: قال أبى: «جئنت إلى طاعة الله طول الحياة ولولا الركوع والسجود وقراءة القرآن ما باليت أن أعيش فى الدنيا فواقاً».

قال: فلم يزال مجهودا على ذلك حتى مات رحمه الله.

قالت: فرأيته من منامى.

فقلت: يا أبت إنه لا عهد بك منذ فارقتنا.

قال: يا بنية فكيف تعهدين من فارق الحياة وصار إلى ضيق القبور وظلمتها؟

قالت: فقلت: يا أبت كيف حالك منذ فارقتنا.

قال: خير حال يا بنية بوئنا المنازل، ومهدت لنا المضاجع، نحن ههنا نغدى ونراح برزقنا من الجنة.

قالت : فقلت : فما الذى بلغكم هذا؟.. «يعنى تريد أن تعرف ما العمل الذى عملته فى الدنيا حتى أنك بلغت هذه المنزلة، وارتقيت إلى هذه الدرجة.

قال : الضمير الصالح وكثرة التلاوة لكتاب الله^(١).

ومن حكمه الغوالى : قوله ألا صابر كريم لأيام قلائل ، حرام على قلوبكم أن تجدوا طعم الإيمان حتى تزهدوا فى الدنيا، ويحدثنا أيضا فيقول : « قال موسى عليه السلام : يا رب أين أبغيك؟.. ابغنى عند المنكسرة قلوبهم، فإنى أدنو منهم كل يوم باعًا لولا ذلك لتهدموا^(٢).

ومن رواياته أيضا أنه قال : «قال : سمعت-أبا رجاء قال : قال أبوالدرداء : لأن أكبر مائة مرة، أحب إلى من أن أتصدق، بمائة دينار». وسأله رجل - فقال : إنى سألت فقيهاً : وهل رأيت فقيهاً لا أبا لك!.. إنما الفقيه الزاهد فى الدنيا، البصير بذنبه، المداوم على عبادة ربه، وعن عمران، عن الحسن، قال : إذا رأيتم الرجل يقتر على عياله، فإن عمله بينه وبين الله تعالى أخبث وأخبث^(٣).

ويحدثنا محمد بن جرير، عن عمران، وهو القصير، قال : كان جعفر ابن زيد يقول فى كلامه ، ما أحلى ذكرك فى أفواه الأبرار؟.. وأعظمك فى قلوب المؤمنين؟.

وروى عمران، عن أنس بن مالك، ورواه، وأسند عن عطاء بن رباح، وأبى رجاء العطاردى، والحسن، ومحمد بن سيرين وأخيه أنس، وقيس

(١) الحلية لأبى نعيم ج٦، ص ١٧٧، وصفة الصفة لابن الجوزى ص ١٨٥.

(٢) الحلية ج٦، ص ١٧٧.

(٣) ذاته ص ١٧٨.

ابن سعد، وعبد الله بن دينار، ونافع، وأبى غالب، وعبد الله بن أبى القلوس، وابن أبى نجیح». وروى عنه الثورى وشعبة.

ومن بين الأحاديث التي رواها «عمران القصير» عن أشياخه، عن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ «إن أعمال أمتي تعرض علي في كل يوم جمعة، واشتد غضب الله علي الزناة».

وعن أنس، قال: كان رسول الله ﷺ يقول: «اللهم إني أسألك إيماننا دائما وهديا قيما، وعلما نافعا».

عن أنس بن سيرين، عن أنس بن مالك، قال: قال: «رأيت رسول الله ﷺ يصلي علي بعيرة تطوع حيثما توجهت به».

ويحدثنا عمران أبو بكر القصير، عن عطاء بن أبى رباح.

قال: قال: لي ابن عباس: ألا أريك امرأة من أهل الجنة.

قال: قلت: بلى.

قال: هذه السوداء أتت النبي ﷺ.

فقلت: إني أصرع واتكشف فادع الله لي.

فقال: «إن شئت صبرت ولك الجنة، وإن شئت دعوت الله أن

يعافيك»، قالت: لا بل أصبر فادع الله أن لا يكشف أو لا ينكشف عني.

قال: فدعا لها^(١).

وعن عمران بن حصين، قال: «نزلت آية المتعة في كتابه الله وعملنا

بها مع رسول الله وسلم فلم تنزل آية تنسخ آية المتعة، ولم ينه عنها

النبي ﷺ حتى مات».

(١) الحلية ص ١٧٩.

ويروى لنا عمران القصير، قال: سمعت أبا رجاء يحدث، عن أبي الدرداء، قال: «لئن أقول الله أكبر مائة، أحب إلى من أن اتصدق، بمائة دينار».

وأيضاً عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «إن الملائكة تصلي على العبد ما دام في مصلاه ما لم يحدث، تقول: اللهم اغفر له، اللهم ارحمه».

وعن عمران بن مسلم القصير، حدثني سعيد بن سلمان، عن يزيد ابن نعامه الضبي، قال: قال رسول الله ﷺ «إذا أخى الرجل الرجل فليسأل، عن اسمه واسم أبيه وممن هو؟.. فإنه أوصل للمودة»^(١).

ويحدثنا عمران، عن ابن عباس، عن النبي ﷺ: «أنه كان إذا قام من الليل كبير»، ثم قال: «اللهم لك الحمد أنت قيوم السموات والأرض، ولك الحمد أنت نور السموات والأرض ولك الحمد أنت رب السموات والأرض ومن فيهن، أنت الحق، وقولك الحق، ووعدك الحق، ولقاؤك حق، والجنة حق، والنار حق، والشقاعة حق، اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، وإليك حاکمت، أنت ربنا، وإليك المصير، رب اغفر لي ما أسررت وما أعلنت وما قدمت وما أخرت، أنت إلهي لا إله إلا أنت»^(٢).

وعن عبد الله بن دينار، عن ابن عمر، أن رسول الله ﷺ، قال: «ذاكر الله في الغافلين كالذي يقاتل عن الفارين، ذاكر الله في الغافلين مثل المصباح في البيت المظلم، وذاكر الله في الغافلين مثل الشجرة الخضراء

(١) الحلية ص ١٨١.

(٢) ذاته ص ١٨١.

في وسط الشجر، وذاكر الله في الغافلين يعرفه الله مقعده من الجنة، وذاكر الله في الغافلين يغفر الله له بعدد كل فصيح وأعجمي، فالفصيح بنو آدم والأعجمي البهائم.

وعن نافع - عن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تتكلموا في القدر فإنه سر الله، فلا تفسوا لله سره»^(١).

ويحدثنا عمران القصير، عن عمران بن حصين، قال: ألا أحدثكم بحديث ما حدثت به أحدًا منذ سمعته من رسول الله ﷺ مخافة أن يتكلموا عليه، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من علم أن الله عز وجل ربه وأنى نبيه، من صدق قلبه - وأومى بيده إلى جلده وصدرة - حرم الله لحمه على النار».

وعن عمران القصير، عن عاصم، عن زر، عن صفوان بن عسال، أنه قال: «إن عرض باب التوبة سبعون عامًا - أو قال أربعون عامًا - لا يغلق حتى تطلع الشمس من مغربها»^(٢).

وهذه بشارة للمؤمنين الذين رضوا بالله ربا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد ﷺ نبيًا ورسولًا، واقترفوا السيئات وارتكبوا المناكر فلا بأس، ولا قنوط حيث إن الله - عز وجل - فتح أمامهم باب التوبة والإنابة، والتوبة وهي الرجوع إلى الله - عز وجل - وتلك رحمة من الله - عز وجل - بعباده، ندعو الله أن يجعلنا من الصادقين التائبين، وعامة المسلمين... آمين.

(١) الحلية ص ١٨٢.

(٢) ذاته ص ١٨٢.

ربيع بن حراش

من التابعين الأجلاء، العابد، الزاهد، المهاجر للفراس «ربيع بن حراش» وهو كما ذكره صاحب الطبقات «ربيع بن حرش بن جحش بن عمرو بن عبد الله بن بجاد بن عبد بن مالك بن غالب بن قطيعة بن عيس ابن يغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان بن مصر»^(١).
ويذكر لنا صاحب «سير أعلام النبلاء» فيوافق الطبقات في «حراش»
«بالحاء المهملة فيقول: «هو الإمام القدوة، الولي الحافظ الحجة» أبو مريم العطفاني، ثم العبسي الكوفي، المعمر، وهو أخ العبد الصالح «مسعود» الذي تكلم بعد الموت، وفي الطبقات أن الذي تكلم بعد الموت أخوهما «ربيع بن حراش»^(٢).

ويروى لنا «هشام بن محمد بن المسيب» فيقول: «إن النبي ﷺ كتب إلى حراش بن جحش، فحرق حراش كتاب النبي ﷺ .

وعن عبد الملك بن عمير، عن ربيع بن حراش.

قال: كنا أربع إخوة، وكان الربيع أخونا أكثرنا صلاة وأكثرنا صياما في الهواجر، وأنه توفى، فبينما نحن حوله وقد بعثنا من يبتاع لنا كفنا، إذا كشف الثوب، عن وجهه.

فقال: السلام عليكم.

فقال القوم: وعليكم السلام يا أخى بن عيس، أبعد الموت؟.

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٦، ص ٨٧. تذكرة الحفاظ ج ١، ص ٦٩.

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي ج ٥، ص ٣١٤ ت/ ٥٠٦ والحلية ج ٤، ص ٢٦٣.

قال: نعم، إني لقيت ربي عز وجل بعدكم فلقيت رباً غير غضبان، واستقبلني بروح وريحان وإستبرق، ألا وإن أبا القاسم عليه السلام ينتظر الصلاة على فعملوني ولا تؤخروني، ثم كان بمنزلة حصاة رمى بها في طست، فمضى الحديث إلى عائشة رضي الله تعالى عنها.

فقالت: أما إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «يتكلم رجل من أمتي بعد الموت»^(١).

وأيضاً عن عبد الملك بن عمير، عن «ربيع بن حراش»، قال: مات أخ لي فسجيناها، فذهبت في التماس كفنها، فرجعت وقد كشف الثوب عن وجهه وهو يقول: ألا إني لقيت ربي بعدكم فتلقاني بروح وريحان، ورب غير غضبان، وإنه كسانى ثياباً خضراً من سندس وإستبرق، وإن الأمر أيسر مما في أنفسكم فلا تعتروا، ووعدنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا يذهب حتى أدركه، قال: فما شبهت خروج نفسه إلا كحصاة ألقيت في ماء فرسبت، فذكر ذلك لعائشة فصدقت بذلك، وقالت: قد كنا نتحدث أن رجلاً من هذه الأمة يتكلم بعد موته، قال: وكان أقومنا في الليلة الباردة، وأصومنا في اليوم الحار^(٢).

وقد شهد له قومه بأنه لم يكذب قط، وكان له موقف مع الطاغية «الحجاج بن يوسف الثقفي» ويحدث وكيع بن الجراح، حدثنا سفيان، قال: ذكرت ربعياً، وتدررون من ربعي؟.. وكان ربعي من قبيلة «أشجع» زعم قومه أنه لم يكذب قط.. فسمي إلى الحجاج بن يوسف، فقالوا:

(١) الحلية ج ٤ ص ٣٦٧.

(٢) ذاته ص ٣٦٨، والكاشف، ج ١، ص ٢٣٤.

ههنا رجل من أشجع زعم قومه أنه لم يكذب قط.. وأنه سيكذب لك اليوم فإنك ضربت على ابنه البعث فعصيا وهما فى البيت ، فبعث إليه فإذا شيخ منحن ، فقال له : ما فعل ابناك؟.. قال هما هذان فى البيت ، قال : فحمله وكساه وأوصى به خيراً^(١).

ويقول : ربعى بن حراش سمعت علياً يخطب وهو يقول : قال رسول الله ﷺ : «لا تكذبوا على فإنه من يكذب على يلج النار».

وعن الحارث الغنوى ، قال : آلى ربعى بن حراش أن لا تفتتر أسنانه ضاحكا حتى يعلم أين مصيره.

قال الحارث : فأخبر الذى غسله إنه لم يزل مبتسما على سريره ونحن نغسله ، حتى فرغنا منه رحمة الله عليه.

وقد سمع ربعى بن حراش - رحمه الله تعالى - من عمر بن الخطاب يوم الجابية ، وعلى بن أبى طالب ، وأبى موسى الأشعري ، وأبى مسعود البدرى ، وحذيفة بن اليمان ، وأبى بكر الثقفى ، وعدة.

حدث عنه أبو مالك الأشجعى ، ومنصور بن المعتمر ، وعبد الملك بن عمير ، وحصين بن عبد الرحمن ، وآخرون.

ومن رواياته أنه قال : «سمعت علياً يخطب وهو يقول : قال رسول الله ﷺ : «لا تكذبوا على فإنه من يكذب على يلج النار».

وعن ربعى بن حراش عن حذيفة ، قال : قال ﷺ : «المعروف كله صدقة».

وعن ربعى بن حراش عن حذيفة ، أنه قدم من عند عمر ، فقال :

(١) الحلية ج ٤ ، ص ٣٦٩ وتهذيب الكمال ج ٦ ، ص ١٢١.

لما جلسنا إليه أمس سألت أصحاب محمد ﷺ أيكم سمع قول رسول ﷺ
في الفتن؟

فقالوا: نحن.

فقال: لعلكم تعنون فتنة الرجل في أهله وماله؟

قالوا: أجل.

قال: لست عن ذلك أسأل تلك يكفرها الصوم والصلاة والصدقة،

ولكن أيكم سمع قول رسول الله ﷺ في الفتن التي تموج موج البحر؟..

فأسكت القوم فظننت أنه إياي يريد.

قال: فقلت: أنا.

قال: أنت لله أبوك.

قلت: تعرض الفتن على القلوب عرض الحصير، فأى قلب أنكرها

نكتت فيه نكتة بيضاء، وأى قلب أشربها نكتت فيه نكتة سوداء،

حتى تصير القلوب على قلبين، قلب أبيض مثل الصفا لا تضره فتنة

مادامت السموات والأرض، والآخرة أسود مرعبا كالكوز مجخيا - وأمال

كفه وأرانا يريد قال هكذا وأمال كفه - لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً

إلا ما أشرب من هواه، وحدثته أن بينك وبينها بابا مغلقا يوشك أن

يكسر كسراً.

قال عمر: كسر لا أبالك.

قلت: نعم.

قال: فلو إنه فتح لكان لعله أن يعاد فيغلق.

قلت: بل كسرًا. قال: وحدثته إن ذلك الباب رجل يقتل أو يموت. حديثًا ليس بالأغاليط^(١).

وعن ربعي، عن حذيفة، قال رسول ﷺ «سيأتي عليكم زمان لا يكون فيه شيء أعز من ثلاثة، من أخ يستأنس به، أو درهم الحلال أو سنة يعمل بها».

ومما رواه أيضًا عن ربعي قال سمعت أبا مسعود عقبة بن عمرو قال: قال رسول ﷺ «إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى إذا لم تستح فاصنع ما شئت».

وبعد حياة حافلة بالعبادة، عامرة بالإيمان يكتنفها، ويحيط بها الصدق، والإيمان الثابت، ثبوت الطود الشامخ، والجبال الراسيات يختاره الله - سبحانه وتعالى - إلى جواره فقد لحق بربه في ولاية الحجاج بن يوسف الثقفي بعد معركة الجماجمه، وليس له عقب، إنما العقب «الأولاد» لأخيه مسعود بن حراش أما أبو نعيم، فيقول: «توفى ربعي في خلافة عمر بن عبد العزيز وكان ثقة له أحاديث صالحة.

ونذكر رواية أخرى أنه توفى سنة إحدى ومائة من الهجرة، وقيل إنه توفى سنة إحدى وثمانين، أو سنة أربعة مائة وعلى أية حال خلافات كثيرة في زمن وفاته، ولكن الذي يهمنا سيرته العطرة، وحياته التي قضاها في العبادة والزهد، ومراقبته الله - عز وجل - رحمه الله تعالى.

(١) الحلية ج ٤، ص ٣٦٩.

عكرمة مولى ابن عباس

من التابعين الأجلاء، مفسر الآيات المحكمة، مضى الروايات المهمة العلامة، الحافظ المفسر «عكرمة» «مولى» «عبد الله بن عباس» حبر الأمة، وترجمان القرآن الكريم - رضى الله تعالى عنه - المدني، البربرى الأصل ويكنى «أبو عبد الله» قيل إنه كان مولى «لحصين ابن أبى الحر العنبرى» فوهبه لابن عباس، كان عكرمة - رحمه الله تعالى - فى البلاد جوالاً، ومن علمه للعباد أظن بذلك.

وقيل إن التصوف: «هو التحصيل للأصول، ثم التنبيه للعقول، وفى رواية أخرى: «للعقول» يعنى الغافلين عن ذكر الله وعبادته ثم التعليم للجهول»^(١).

وكان «عكرمة» - رحمه الله تعالى - تلميذا لابن عباس - رضى الله تعالى عنه - فعن عكرمة قال كان ابن عباس يجعل فى رجلى الكبل ويعلمنى القرآن والسنن. وعن حبيب بن أبى ثابت قال اجتمع عندى خمسة لا يجتمع عندى مثلهم أبدا عطاء وطاوس ومجاهد وسعيد بن جببر وعكرمة فأقبل مجاهد وسعيد بن جببر يلقيان على عكرمة التفسير فلم يسألاه عن آية إلا فسرهما لهما فلما نفذ ما عندهما جعل يقول أنزلت آية كذا فى كذا وأنزلت آية فى كذا قال ثم دخلوا الحمام ليلاً.

(١) الحلية ج ٣ ، ص ٣٢٦ ، سير أعلام النبلاء للذهبي ج ٥ ، ص ٥٠٤ .

يروى لنا جابر بن زيد يقول هذا عكرمة مولى ابن عباس هذا أعلم الناس، قال الشعبي، ما بقى أحد أعلم بكتاب الله تعالى من عكرمة، قال قتادة: أعلمهم بالتفسير عكرمة، وعن جرير عن مغيرة قال قيل لسعيد بن جبيرة تعلم أحدا أعلم منك قال نعم عكرمة، قال فلما قتل سعيد قال إبراهيم ما خلف بعده مثله، وعن سماك بن حرب قال سمعت عكرمة يقول لقد فسرت ما بين اللوحين.

ولا غرو، ولا عجب في أن يكون التابعي الجليل «عكرمة» أعلمهم بالتفسير وأهدافه ومراجعته، حيث إنه كان مولى للصحابي الجليل «عبد الله بن عباس» رضى الله تعالى عنهما - وهو حبر الأمة وترجمان القرآن الكريم، ومما لا ريب فيه أن عكرمة أقاد من ابن عباس فقها، كافية وعلماء، وتفسير لآيات الله، وشهادة معاصريه من أمثال قتادة وسعيد بن جبيرة لسعة علمه.

وكان ضالعا في التفسير، عاملا بالتأويل والأماكن التي نزل فيها القرآن الكريم، فمما يرويه لنا أيوب قال سألت رجلا عكرمة عن آية من القرآن فقال نزلت في سفح ذلك الجبل وأشار إلى سلع^(١).

وكان الناس يعرفون قدرة، كما أنهم كانوا يعرفون ويقدرون مكانته العلمية فعن أيوب قال قدم علينا عكرمة فاجتمع الناس عليه حتى أصعد فوق ظهر بيت، مشهورا بين الناس بعلمه وخلقه، وزهده، وورعه. وخوفه من الله وتقواه، وكان كثير التجوال في البلاد، معلما للناس.

(١) الحلية ج ٣، ص ٢٢٧.

وحين توفي «عكرمة» -رحمه الله تعالى - خرجت جنازته ، وجنازة
كثير عزة الشاعر المعروف في وقت واحد فأخرجت جنازتهما فقال
الناس مات أفقه الناس وأشعر الناس.

ويروى لنا عكرمة عن نفسه ، عن أبي حمزة عن يزيد النحوي عن
عكرمة قال ابن عباس رضي الله تعالى عنه لي انطلق فافت الناس فمن
سألك عما يعنيه فافته ومن سألك عما لا يعنيه فلا تفته فإنك تطرح عنى
ثلثي مؤونة الناس^(١).

وهذا دليل على ثقة ابن عباس في علم عكرمة ومن قدرته على الفتوى
ولمعرفة ابن عباس بمكانة عكرمة العلمية صرح له بالفتوى حيث إنه سيريحه
من كثرة كاشرة من الناس الذين يريدون الفقه ، ويعشقون العلم والتعلم.

ويروى لنا سفيان عن عمرو قال كنت إذا سمعت عكرمة يحدث عن
المغازي فكأنه مشرف عليهم ينظر كيف كانوا يصنعون ويقتتلون ، وعن
أيوب يقول كنت أريد أن أرحل إلى عكرمة إلى أفق من الآفاق قال فأتى
يعنى سوق البصرة فإذا رجل على حمار فقيل لي هذا عكرمة قال واجتمع
الناس إليه فقامت إليه فما قدرت على شيء أسأله عنه ذهب المسائل عنه
فقامت إلى جنب حماره قال فجعل الناس يسألونه وأنا أحفظ.

ويقول الفرزدق بن جواس قال قدم علينا عكرمة ونحن مع «شهر بن
حوشب» بجرجان ، فقلنا لشهر ألا نأتيه.

فقال : آتوه فإنه لم تكن أمة إلا وقد كان لها حبر وإن هذا كان مولى
حبر هذه الأمة^(٢).

(١) ذاته.

(٢) ذاته ص ٣٢٨.

وعن عبد العزيز ابن أبي داود قال قلت لعكرمة بينسايور الرجل يدخل الخلاء وفي أصبعه خاتم فيه اسم الله قال يجعل فسه في باطن كفه ثم يقبض عليه^(١).

وكان سفيان الثوري يقول بالكوفة خذوا التفسير عن أربعة عن سعيد ابن جببير ومجاهد وعطاء وعكرمة.

وفي رواية أخرى قال سفيان الثوري بالكوفة خذوا التفسير عن أربع عن سعيد بن جببير ومجاهد وعكرمة والضحاك^(٢).

والشعبي يقول: ما بقي أحد أعلم بكتاب الله من عكرمة.

وقال قتادة: أعلم الناس بالحلال والحرام الحسن وأعلمهم بالمناسك عطاء، وأعلمهم بالتفسير عكرمة، وروى سعيد بن قتادة قال: كان أعلم التابعين أربعة، كان عطاء أعلمهم بالمناسك، وكان سعيد بن جببير أعلمهم بالتفسير، وكان عكرمة أعلمهم بسيرة النبي ﷺ، وكان الحسن أعلمهم بالحلال والحرام^(٣).

ويروى لنا أيوب - رحمه الله تعالى - عن عكرمة أنه قال: «إني لأخرج إلى السوق، فأسمع الرجل يتكلم بالكلمة فينفتح لي خمسون بابا في العلم»^(٤).

وعن أيوب - وسئل عن عكرمة - فقال لو لم يكن عندي ثقة لم أكتب عنه، وعن عكرمة قال: قرأ ابن عباس هذه الآية ﴿وَإِذْ قَالَتْ

(١) ذاته.

(٢) تذكرة الحفاظ ج ١ ، ص ٩٦.

(٣) سير أعلام النبلاء ج ٥ ، ص ٥٠٧.

(٤) ذاته.

أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُم
وَلَعَلَّهُمْ يَنْقَوْنَ ﴿١٦٤﴾ (الأعراف: ١٦٤) قال ابن عباس: لم أدر أنجا القوم
أم هلكوا؟..

قال: فمازلت أبين له «أبصره» حتى عرف أنهم قد نجوا، قال:
فكساني حلة.

وقال مصعب بن عبد الله: تزوج عكرمة أم سعيد بن جبير.
ويروى لنا حجاج الصواف، عن أرطاة بن أبي أرطاة، أنه سمع عكرمة
يحدث القوم وفيهم سعيد بن جبير وغيره. فقال: إن للعلم ثمنا، فأعطوه
ثمنه، قالوا: وما ثمنه يا أبا عبد الله؟.. قال: أن تضعه عند من يحسن
حفظه ولا يضيعه^(١).

وكان له رأى فى التفسير معقول، ومقبول ومن أمثلة ذلك رأيه فى
قول الله - عز وجل - ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ
ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾﴾
(النساء: ١٧): يقول عكرمة الدنيا كلها قريب، كلها جهالة، وهذا رأى
مقبولا عقلا، ونقل.

وسئل عكرمة عن قوله تعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ
عُلُوقًا فِي الْأَرْضِ وَلَا فِسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُنْتَقِينَ ﴿٨٣﴾﴾ (القصص: ٨٣) الآية فجعل
الدار الآخرة للذين لا يريدون علوا فى الأرض عند سلاطينها ولا ملوكها
ولافسادا لا يعملون بمعاصى الله عز وجل والعاقبة للمتقين فى الجنة^(٢).

(١) سير أعلام النبلاء، ج ٥، ص ٥٠٩.

(٢) الحلية ج ٣، ص ٣٣٠.

وعن عكرمة فى قوله تعالى ﴿ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ ﴾ (٦) الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ
الزَّكَاةَ ﴿ ٧ ﴾ (فصلت: ٦ - ٧): «لا يقولون لا إله إلا الله» وفى قوله:
﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ﴾ (١١) (الأعلى: ١٤).

قال: «من قال لا إله إلا الله» وفى قوله: ﴿ فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا
تَزَكَّى ﴾ (١٨) (النازعات: ١٨): إلى أن تقول لا إله إلا الله وفى قوله تعالى
﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا ﴾ (٣٠) (فصلت: ٣٠).

قال شهادة: «أن لا إله إلا الله»، وقوله ﴿ أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ ﴾
(٧٨) (هود: ٧٨): قال أليس منكم رجل يقول لا إله إلا الله: وفى
قوله ﴿ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴾ (٣٨) (النبأ: ٣٨): قال الصواب لا
إله إلا الله، وفى قوله: ﴿ إِنَّكَ لَا تُخَالِفُ الْمِعَادَ ﴾ (١٩٤) (آل عمران: ١٩٤)
«قال الميعاد لمن قال لا إله إلا الله»^(١).

وكان يقول ﴿ فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ (١١٣) (البقرة: ١٩٣): قال:
«على من لا يقول لا إله إلا الله» وتفسير قوله عز وجل «السائحون»
قال هم طلبة العلم، وعن عكرمة فى قوله تعالى كما يئس الكفار من
أصحاب القبور قال الكفار إذا دخلوا القبور عاينوا ما أعد الله من الخزي
يئسوا من رحمة الله.

وعن عكرمة قال كان إبراهيم عليه السلام يكنى أبا الضفيان وكان
لقصره أربعة أبواب لكيلا يفوته أحد.

(١) الحلية ص ٣٣٤.

وعن عبد الرحمن بن حسان: سمعت عكرمة يقول: طلبت العلم أربعين سنة، وكنت أفتى بالباب، وابن عباس في الدار. وحدث «عكرمة» عن ابن عباس، وعائشة وأبي هريرة، وابن عمر، وابن عمرو، وعقبة بن عامر، وعلي بن أبي طالب، وغيرهم. وحدث عنه «إبراهيم النخعي» والشعبي، وماتا قبله، وعمرو بن دينار، وحبیب بن أبى ثابت، وحجاج بن أرطاة، وغيرهم كثير. ومن روايته للحديث عن «عكرمة» عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال من حلف على أحد بيمين وهو يرى أنه سيبر به فلم يفعل فإن إثمه على الذى لم يبره.

وعكرمة يقول قالت عائشة رضى الله تعالى عنها ما شبعنا من الأسودين حتى أجلى الله النضير وأهلك قريظة. وتوفى - رحمه الله تعالى - سنة خمسمائة، ووافق ذلك قول الواقدي، وقيل مات سنة سبعمائة، وقيل غير ذلك، بعد حياة حافلة بالعمل والجهاد، وتحصيل العلم والفتوى^(١).



(١) ميزان الاعتدال جـ ٣، ص ٩٥.

مرة ابن شراحيل

من التابعين الأجلاء، المدمن للتعبد، والمواظب على التهجد المنقبض عن الهزل والأباطيل، المحسن لسانه في الفتن عن الأقاويل، وهو «مرة» ابن شراحيل الهمداني الكوفي، ويلقب «بمرة الطيب، ومرة الخير»، لعبادته، وخيره، وعلمه، ويكنى «أبو إسماعيل».

وكان - رحمه الله تعالى - كبير الشأن، وكان من العباد، الزهاد، حيث إنه سجد لله تعالى حتى أكل التراب جبهته.

ويروى لنا عطاء بن السائب قال كان مرة يصلى كل يوم وليلة ألف ركعة فلما ثقل وبدن صلى أربعمائة ركعة وكنت تنظر إلى مباركه كأنها مبارك الإبل، ولانشغاله بالعبادة قلت روايته^(١).

ويروى لنا أن «مرة بن شراحيل» الطيب أتاه نفر من أصحابه، قالوا أتينا مرة بن شراحيل الطيب نسأل عنه فقالوا إنه في غرفة له قد تعبد اثني عشرة سنة قال فدخلنا عليه - رحمه الله تعالى - في غرفته.

وكان يأخذ نفسه بالشدّة في العبادة، حتى إنه يصلى على قطعة من اللباد وهو يمسك بوتره في الحائط، وكان يرى أثر السجود في جبهته، وكفيه، وركبتيه، وقدميه.

ولما كانت الفتنة الأولى عصمه الله منها فقال عصمت منها لأحدثن لله شكرا فكان يصلى في اليوم واللييلة خمسين ركعة يختم فيها القرآن فلما

(١) حلية الأولياء ج ٤، ص ١٦٦. وسير أعلام النبلاء ج ٥، ص ١١٠.

كانت فتنة بن الزبير عصم منها فقال عصمت منها لأحدثن الله شكرا فكان يصلى فى اليوم والليله عدد سور القرآن مائة ركعة وأربع عشرة ركعة يختم فيها القرآن.

وقد شهد «مرة بن شراحيل» - رحمه الله تعالى - فتح القادسية فى ثلاثة آلاف من قومه ، ومن حكمه أنه كان يقول : «ألا إن الله عز وجل لم يكتب على عبد بلاء إلا أمضاه عليه وإن أطاعه ذلك العبد ولم يكتب لعبد رزقا إلا وفاه إياه وإن عصاه ذلك العبد»^(١).

وقد حدث «مرة الطيب» عن «أبى بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب ، وأبى ذر ، وابن مسعود ، وأبى موسى الأشعري ، وغيرهم» .
كما حدث عنه أسلم الكوفى وزبيد اليامى ، وحصين بن عبد الرحمن ، وعطاء بن السائب ، وإسماعيل بن أبى خالد ، وغيرهم كثير.

ويذكر لنا صاحب الطبقات أنه روى عن عمر ، وعلى ، وعبد الله -رضى الله عنهم أجمعين- ومن مرويه عن عمر بن الخطاب - رضى الله تعالى عنه- قال : «والله لأردنها عليكم حتى يروح على الرجل منكم المائة من الإبل ، يعنى الصدقة ، وكان ثقة» .

عن مرة الهمداني عن أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه قال سمعت النبى ﷺ يقول : «لا يدخل الجنة خب ولا خائن»^(٢).

وعن مرة عن ابن مسعود قال : قال : رسول ﷺ «شغلونا عن صلاة الوسطى صلاة العصر ملأ الله قبورهم أو بيوتهم نارا» .

(١) ذاته ص ١٦٣ .

(٢) الحلية ج ٤ ، ص ١٦٤ .

وعن مرة عن عبد الله قال «إن الله تعالى قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم وإن الله تعالى يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب ولا يعطي الإيمان إلا من يحب فإذا أحب الله عبدا أعطاه الإيمان فإذا بخلتم بالمال أن تنفقوه وجبتكم عن العدو أن تقاتلوه وضعفتم عن الليل أن تساهروه فاستكثروا من قول سبحان الله والحمد لله فإنها أحب إلى الله من جبل ذهب وفضة»^(١).

ويروى لنا مرة قال: قال عبد الله بن مسعود فضل صلاة الليل على صلاة النهار كفضل صدقة السر على صدقة العلانية^(٢).
وتوفى - رحمه الله تعالى - سنة نيف وثمانين بالكوفة رحمه الله تعالى.



(١) ذاته ص ١٦٥ .

(٢) ذاته ص ١٦٥ وما بعدها .

كثير بن مرة

هو الإمام الزاهد، الورع التقى، الحجة التقى «كثير بن مرة أبو شجرة الحضرمي، الرهاوي، الشامي، الحمصي، الأعرج، ويكنى «أبا القاسم»..

ويروى أن عبد العزيز بن مروان كتب إلى كثير بن مرة، وكان قد أدرك بحمص سبعين بدريا، وهذا دليل على أنه حضر كوكبة من الصحابة الأجلاء، خاصة الذين شهدوا غزوة بدر الكبرى، الذين قال فيهم رسول الله ﷺ: «لعل الله اطلع على أهل بدر، فقال لهم: «اعملوا ما شئتم فإنني قد غفرت لكم»..

ويقول الإمام الليث: وكان يسمى الجند المقدم.

قال: فكتب إليه يكتب إليه بما سمع من أصحاب رسول الله ﷺ، ومن أحاديثهم إلا حديث أبي هريرة، فإنه عندنا^(١).

ويروى لنا التابعي الجليل كثير بن مرة، قال: «دخلت المسجد يوم الجمعة، فمررت بعوف بن مالك الأشجعي وهو باسط رجله، فضمها ثم قال: يا كثير أتدرى لم بسطت رجلي؟.. بسطتها رجاء أن يجيء رجل صالح فأجلسه، وإني لأرجو أن تكون رجلا صالحا».

وهذه شهادة من صحابي جليل من أصحاب رسول الله ﷺ فدل ذلك على أن «كثير بن مرة» كان رجلا صالحا، زاهدا، ورعا، تقيا.

(١) سير أعلام النبلاء ج ٥ ، ص ٨٩ ، والطبقات الكبرى ج ٧ ، ص ٣١١ .

وقد شهد له بالورع، والصلاح كثرة من معاصريه، ومخالطيه، فلقد روى لنا «أبو زرعة الدمشقي: قلت لدحيم. فمن يكون مع جبير بن نغير، وأبي إدريس الخولاني في طبقتهما؟.. قال: كثير بن مرة.

فذاكرته سنه، ومناظرة أبي الدرداء إياه في القراءة خلف الإمام. وقول عوف فيه: إنني لأرجو أن تكون صالحا فرآه معهما في طبقة.

قال أبو مسهر: بقي كثير إلى خلافة عبد الملك^(١).

وكان - رحمه الله تعالى - من رواة الحديث فقد روى «كثير بن مرة» عن أجلة الصحابة من أمثال: «معاذ بن جبل، وعمر بن الخطاب، وعبادة بن الصامت، وأبي الدرداء، وأبي هريرة، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن عمرو، وعوف بن مالك، ونعيم بن همار، وأبي هريرة، وعقبة بن عامر، وأبي فاطمة الأزدي. وشرحبيل بن السمط، وغيرهم».

كما روى عنه: «أبو الزاهرية حدير بن كريب، وخالد بن معدان، وصالح ابن أبي عريب، ومكحول، وشريح بن عبيد، وعبد الرحمن بن جبير بن نغير، ولقمان بن عامر. ونصر بن علقمة، وعبد الرحمن بن عائذ. وآخرون».

ومن مرويه عن رسول الله ﷺ: عن كثير بن مرة، عن معاذ بن جبل. عن النبي ﷺ، قال: «لا تؤذى امرأة زوجها في الدنيا. إلا قالت زوجته من الحور العين: لا تؤذيه قاتلك الله، فإنما هو عندك دخیل، يوشك أن يفارقك إلينا»^(٢) رحم الله «كثير بن مرة»، وأسكنه فراديس جنانه.

(١) سير أعلام النبلاء، ج ٥، ص ٩٠

(٢) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الرضاع، باب ١٩، ورواه الإمام أحمد في المسند ج ٨ حديث

رقم ٢٢١٦٢، وابن ماجه في سننه.

خارجة بن زيد

هو التابعى الجليل، والزاهد الورع «خارجة بن زيد بن ثابت بن الضحاك بن زيد بن لوزان بن عمرو بن عبدعوف بن كالك بن النجار».. وأمه «أم سعد» وهى «جميلة بنت سعد بن الربيع بن عمرو بن أبى وهير بن مالك بن امرىء القيس بن مالك بن ثعلبة». من بنى الحارث بن الخزرج وأولاده هم: «زيد، عمرو، وعبد الله، ومحمد وله من الإناث: «حبيبة، وحميدة، وأم يحيى، أم سليمان» وأمهم «أم عمرو بنت حزم، من بنى مالك بن النجار».

ويكنى التابعى الجليل «أبا زيد» وكان «خارجة» يتختم فى يده اليسرى خاتما، وكان - رحمه الله تعالى - زاهدا، ورعا، تقيا، يكثر من الصلاة، ويحافظ عليها، وكان يُرى بين عينيه أثر السجود، وكان - رحمه الله تعالى - حسن الجسم.

ويحدثنا زيد بن السائب فيقول: «رأيت» خارجة بن زيد، «يلبس كساء خز، كما رأيت»ه يلبس ملحفة معصفرة، وكان يعتم بعمامة بيضاء»^(١). وكان - رحمه الله تعالى - ثقة فى الحديث ويروى لنا «خارجة بن زيد» عن نفسه فيقول: «قال: رأيت فى المنام كأنى بنيت سبعين درجة، فلما فرغت منها، تهورت: وهذه السنة لى سبعون سنة قد أكملتها فمات عنها».

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٥ ، ص ١٩٣ - ١٩٤ .

ويقول عنه صاحب سير أعلام النبلاء هو الفقيه، الإمام ابن الإمام، وأحد الفقهاء السبعة الأعلام. أبو زيد الأنصاري، النجاري، المدني، وإخوته، هم: إسماعيل، وسليمان، ويحيى، وسعد، وجده لأمه هو سعد ابن الربيع الأنصاري، أحد النقباء السادة.

وكان أحد الفقهاء السبعة الذين يُسألون بالمدينة، ويُنتهى إلى قولهم «سعيد بن المسيب، وأبو بكر بن عبد الرحمن، وعروة بن الزبير والقاسم، وعبيد الله بن عبد الله، وخارجة بن زيد، وسليمان بن يسار»^(١).

وروى الدراوردي عن عبيد الله بن عمر، قال: كان الفقه بعد أصحاب رسول ﷺ بالمدينة في خارجة بن زيد بن ثابت، وسعيد بن المسيب، وعروة، والقاسم بن محمد، وقبيصة بن ذؤيب، وعبد الملك بن مروان، وسلميان بن يسار مولى ميمونة.

وقال مصعب بن الزبير: كان خارجة بن زيد، وطلحة بن عبد الله بن عوف في زمانهما يُستفتيان، وينتهي الناس إلى قولهما، ويقسمان المواريث بين أهلها من الدور والنخيل، والأموال، ويكتبان الوثائق للناس^(٢).

وروى معن القزاز عن زيد بن السائب، قال: أجاز سليمان بن عبد الملك خارجة بن زيد بمال فقسمه، وهذا دليل على زهده في الدنيا. وسخائه وكرمه، وجوده وتقواه، وكان - رحمه الله تعالى - يحب الخير للناس كما يحبه لنفسه حيث إن عمر بن عبد العزيز كتب أن يعطى خارجة بن زيد ما قطع عنه من الديوان، فمشى خارجة إلى أبي بكر بن حزم، وقال:

(١) سير أعلام النبلاء ج ٥ ، ص ٣٦٨.

(٢) ذاته ص ٣٦٩.

إنى أكره أن يلزم أمير المؤمنين من هذه مقالة. ولى نظراء، فإن عمهم أمير المؤمنين بهذا فعلت، وإن هو خصنى به. فإنى أكره ذلك له. فكتب عمر: لا يسع المال لذلك، ولو وسعه لفعلت^(١).

وخارجة بن زيد مدنى، تابعى، ثقة، ويقول عنه رجاء بن حيوة: يا أمير المؤمنين، قدم قادم الساعة، فأخبرنا أن خارجة بن زيد مات، فاسترجع عمر، أى قال إنا لله وإنا إليه راجعون، وصفق بإحدى يديه على الأخرى وقال: ثلثة والله فى الإسلام، يعنى ترك ثغرة وفجوة، ومكانا لا يمكن أن يسد أو يملأ هذا الفراغ إلا بمثله.

وحدث عن أبيه، وعمه يزيد، وأسامة بن زيد، وأمه أم سعد بنت سعد، وأم العلاء الأنصارية، وعبد الرحمن بن أبى عمرة، ولم يكن بالكثير من الحديث، وروى عنه ابنه سليمان، وابن أخيه سعيد بن سليمان، وسالم أبو النصر، وأبو الزناد وهو تلميذه فى الفقه، وعبد الملك بن أبى بكر بن عبد الرحمن بن الحارث، وعبد الله بن عمرو بن عثمان، وعثمان بن حكيم الأنصارى، ومجالد بن عوف، ومحمد بن عبد الله الديباج، وابن شهاب، ويزيد بن عبد الله بن قسيط، وأبو بكر بن حزم، وآخرون.

فمن خارجة بن زيد، عن أبيه، قال: «أمرنى رسول الله ﷺ أن أتعلم كتاب يهود، فما مر بى نصف شهر حتى تعلمت، كنت أكتب له إلى يهود إذا كتب إليهم. فإذا كتبوا إليه، قرأت كتابهم له»^(٢).

(١) ذاته ص ٣٦٩.

(٢) أخرجه البخارى والإمام أحمد فى المسند ج ٨. أبو داود والترمذى.

وعن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه قال: مات خارجة بن زيد سنة مائة في خلافة عمر بن عبد العزيز، ومات بالمدينة وصلى عليه أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم وهو والى عمر على المدينة يومئذ، ورأيت على سريرته بردا متركا.

قال: أخبرنا معن عيسى قال أخبرنا زيد بن السائب قال: شهدت خارجة بن زيد فرأيت الماء رش على قبره.

مات «خارجة بن زيد»، - رحمه الله تعالى -، بعد حياة حافلة بالإيمان والورع والزهد، والتقوى، فعلى كل الشباب المسلم الاقتداء بخارجة وأمثاله، وخاصة في هذا العصر الذى يموج بالاغراءات، والفتن والجرى وراء المادة لتحقيق ما يسمى بالطموحات، ولا مانع من العمل، وتحقيق ما يصبو إليه الشباب المسلم فى ظلال الإيمان والورع، وتحرى الحلال والعمل للدار الآخرة رحمه الله تعالى.



المصادر والمراجع

- ١ - القرآن الكريم .
- ٢ - كتب السنة النبوية.
- ٣ - أسد الغابة.
- ٤ - الاستيعاب لابن عبد البر.
- ٥ - الإصابة.
- ٦ - البداية والنهاية لابن كثير.
- ٧ - الجرح والتعديل.
- ٨ - العبر في خبر من غبر للذهبي.
- ٩ - الطبقات الكبرى لابن سعد.
- ١٠ - الشعر والشعراء لابن قتيبة الدنيوري.
- ١١ - المعرفة والتاريخ.
- ١٢ - المحبر.
- ١٣ - الكاشف.
- ١٤ - تاريخ الإسلام (الذهبي).
- ١٥ - تاريخ البخارى الكبير.
- ١٦ - تاريخ الطبرى.
- ١٧ - تاريخ بغداد.
- ١٨ - تذكرة الحفاظ.
- ١٩ - تاريخ الخميس فى أحوال أنفس نفيس لحسين بن محمد الديار بكرى.
- ٢٠ - تاريخ خليفة بن خياط.

- ٢١ - تهذيب الأسماء واللغات - ط دار الفكر.
- ٢٢ - جمهرة أنساب العرب لأبي زيد القرشي - دار المعارف بمصر.
- ٢٣ - حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم.
- ٢٤ - ديوان قيس الرقيات.
- ٢٥ - رياض الصالحين للنووي - ط - دار الوفاء.
- ٢٦ - سير أعلام النبلاء للذهبي.
- ٢٧ - صفة الصفوة - دار الحديث بالقاهرة.
- ٢٨ - طبقات خليفة بن خياط.
- ٢٩ - لسان العرب لابن منظور.
- ٣٠ - مروج الذهب للمسعودي.
- ٣١ - مختصر ابن عساكر.
- ٣٢ - مسند الإمام أحمد.
- ٣٣ - معجم البلدان لياقوت الحموي.
- ٣٤ - نسب قریش.
- ٣٥ - وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان / لابن خلكان.
- ٣٦ - تهذيب الكمال في أسماء الرجال للمزى . ط دار الفكر.
- ٣٧ - الثقات للبستي دار الكتب العلمية بيروت لبنان.
- ٣٨ - ميزان الاعتدال للذهبي.
- ٣٩ - تقريب التهذيب.
- ٤٠ - تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني.
- ٤١ - كتاب المنامات لابن أبي الدنيا.
- ٤٢ - دلائل النبوة للبيهقي.

الفهرس

- مقدمة..... ١٠٥
- زياد بن جرير الأسلمى..... ١٠٦
- شقيق بن سلمة الأسدى..... ١١١
- عروة بن الزبير..... ١١٧
- مصعب بن الزبير..... ١٢٤
- أبو سلمة..... ١٣٠
- زرّ بن حُبَيْش..... ١٣٤
- الرَّبِيع بن حُثَيْم..... ١٤٠
- وكيع بن الجراح..... ١٤٧
- ابن السَّمَّك..... ١٥٣
- عمرو بن ميمون الأودى..... ١٥٧
- عمرو بن عتبة..... ١٦٤
- العلاء بن زياد..... ١٧٢
- زين العابدين..... ١٧٩
- سعد بن إبراهيم الزهرى..... ١٩٢
- كهيمس البصرى..... ١٩٨
- يزيد بن الأصم..... ١٠٤
- أبو عبد الرحمن السلمى..... ١١٠
- عائذ الله «أبو إدريس الخولانى»..... ١١٥
- عمران القصير..... ١١٩

- ١٢٤.....ربيعى بن حراش
- ١٢٩.....عكرمة «مولى ابن عباس»
- ١٣٦.....مرة بن شراحيل
- ١٣٩.....كثير بن مرة
- ١٤١.....خارجة بن زيد
- ١٤٥.....المصادر والمراجع

٢٠١٣ / ٣٨٤٤	رقم الإيداع
ISBN 978-977-02-7730-0	الترقيم الدولى

١ / ٢٠١١ / ٣٥

طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع)